الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد دراية أدرار

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جماليات المكان في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع للروائي حاج أحمد الصديق

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: دراسات جزائرية في اللغة والأدب العربي

★من إعداد الطالبتين:

- ✍ بن هاشم يمينة
- ✍ يعيشاوي حنان

★إشراف الدكتور:

✍ سليمان قوراري

السنة الجامعية 1437-1438هـ/2016- 2017م

كلمة شكر وعرفان

نبدأ كلامنا بقول المولى عز وجل :« لَئِنْ شَكَرْتُم لَأَزِيدَنَّكُم»

فالحمد والشكر لله الذي فضل الإنسان على سائر مخلوقاته بعقل يفتش به عن الحقائق ويستطيع به كشف الخبايا ومكننا من انجاز هذه المذكرة المتواضعة ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ما يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بخالص شكرنا الجزيل وتقديرنا إلى أستاذنا المشرف الدكتور "سليمان قوراري"على ما حبانا به من توجيه وتصويب في تقديم النصائح القيمة ، وإلى كل أستاذ قدم لنا إضافة كبيرة كانت أو صغيرة خلال مشوارنا الدراسي ،كما نشكر من له الفضل في مساعدتنا سواء من قريب أو بعيد.كما لا ننسى أن نقدم الشكر الجزيل لمن أعاننا بدعواته.

وفي الأخير نسأل الله العظيم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين.

يمينة

حنان

إهداء

أهدي هذا البحث إلى من قال فيهم الله جل جلاله :"واعْبُدُوا اللّه ولاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا وبالوَالِدَينِ إِحْسانًا " إلى من جعلت الجنة تحت أقدامها إلى أعز ما أملك في الوجود إلى معنى الحب والحنان والتفاني إلى أمي الحبيبة حفظها الله وبارك في عمرها

إلى من علمني العطاء دون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ورفعت رأسي عاليا افتخار به إلى روح والدي الغالي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه , اللهم اغفر لهما ورحمهما كما ربياني صغيرا

إلى من حبهم يجري في عروقي..... و يلهج بذكراهم فؤادي ....ومن عشت برفقتهم أجمل أيام حياتي إخوتي :جمعة وفاء ،مروة ،أخي العزيز والوحيد أحمد وزوجته زينب

إلى براعم روحي أبناء إخوتي حفظهم الله:صهيب، ياسين ،أمير, ريماس,هبة,

إلى رفيق دربي ومسار حياتي وسندي " **محمد**" وعائلته.

إلى كل أقاربي ,أعمامي ,وعمتي ,أخوالي ,وخالتي وأبناءهم كل باسمه

إلى كل من يحمل لقب يعيشاوي وزيز

كما أهدي ثمرة جهدي إلى جميع صدقاتي.

إلى من ساهم في تكويني وتعليمي من الطور الابتدائي حتى الجامعي:أساتذتي الكرام

إلى كل من ساندني في انجاز هذه المذكرة من قريب أو من بعيد

حنان

منتديات ورد للفنون
ward2u.com

إهداء

بسم الله الرحمان

أهدي ثمرة جهدي هذه:

إلى/ من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة محمد(ص).

إلى/ ذلك الحرف اللامتناهي من الحب والحنان إلى التي أحيا بها إلى من رعتني بحنانها وعطفها إلى/ من ربتني وأنارت دربي إلى من أعانتني بالصلوات والدعوات إلى أغلى إنسانة في هذا الوجود «أمي الغالية».

إلى/ من عمل بجد في سبيلي وعلمني أن العلم سلاح والحياة عقيدة إلى من شجعني على طلب العلم والمعرفة إلى ينبوع العطاء الذي زرع في الطموح والمثابرة «أبي الغالي».

إلى/ من أمد الله بيني وبينهم حبلا لاينقطع أبدًا أمّة قلبي وسندي الأيمن في الحياة أعزهم الله جميعًا ووفقهم في مشوار حياتهم إلى الخير والسداد «أخواتي وإخوتي وزوجاتهم وعمّتي رقية».

إلى/ قطرات الندى وبراءة الصبا «أبناء أخواتي وأبناء أخي».

إلى/ كل من ساهم في تعليمي وتكويني منذ طفولتي إلى هذه المرحلة الجامعية السادة المعلمين والأساتذة.

إلى/ من مد الله بيني وبينهم صلة رحم «عائلتي الكريمة وأقاربي».

إلى/ من ضاقت السطور بذكرهم فوسعهم قلبي «كل صديقاتي».

عينة

منتديات ورد للفنون
ward2u.com

مقدمة

مقدمة:

إن المكان واحد من أهم عناصر البناء الروائي، فهو المرتكز الذي ينهض عليه بناء الرواية الشامل، و به تضمن تماسكها الفني، فالرواية والمكان قرينان فهي تحتاج إليه لتؤسس بناء عالمها، وتشد به أواصر العلاقة مع بقية عناصرها، كما أنه محتاج لها لتعينه على تجلية صوره والكشف عن دلالاته، فالمكان له صلة وثيقة بالفن الروائي.

وقد ظلَّت دراسة عنصر المكان على أهميته وجليل قدره في النصوص الأدبية بشكل عام والرواية بشكل خاص على وجه الخصوص أمدا طويلا غائبا عن أنظار الدراسات الأدبية والنقدية في عالمنا العربي تحديدا، فقد انصب جل اهتمام الدراسات الأدبية على مكونات السرد الأخرى، فأخذت تولي كبير العناية بمنطق الأحداث ووظائف الشخصيات وزمن السرد وجمالية اللغة بينما غفلت التركيز عن عنصر المكان .

ومن ثم فدراستنا تبحث في الإشكالية التي يطرحها المكان بوصفه أحد مكونات الرواية، وتتصدى لقضية شائكة وهي محاولة الكشف عن جماليات المكان في عالم السرد الروائي، واخترنا نموذجا رواية كاماراد "رفيق الحيف والضياع" للروائي حاج أحمد الصديق.

واختيارنا لهذا النص الروائي للدراسة النقدية كان تحت وطأة عدة دوافع من أبرزها:

- اهتمامنا المتزايد والعلمي بالجنس الروائي.
- قلة الدراسات والأبحاث التي تناولت روايات "حاج أحمد الصديق" بالدراسة.
- رغبتنا في تقديم دراسة تطبيقية حول المكان ,ولأن رواية" كاماراد" يحتل فيها المكان دورا بارزا.

ومن هنا نطرح الإشكالات التالية:

-كيف تعامل الروائي مع المكان؟

-إلى أي مدى وظف مفرداته في إنتاج رواية متماسكة؟

-أين تتجلى جمالية المكان في الرواية "كاماراد"؟

أما عن المنهج في الدراسة فيتمثل في المنهجين الوصفي والتحليلي لأنهما يناسبان وصف الأمكنة الواردة في الرواية، وتصويرها تصويرا جماليا فنيا.

وقد قمنا بتقسيم خطة بحثنا إلى مقدمة و فصلين وخاتمة:

جعلنا من الفصل الأول نظريا: وعنوانه"دراسة حول المفهوم" تناولنا فيه ثلاث مباحث، درسنا في المبحث الأول مفهوم الجمال لغة واصطلاحا، وفي المبحث الثاني مفهوم المكان لغة واصطلاحا، أما المبحث الثالث فتناول المكان في الدراسات النقدية عند الغرب وعند العرب .

أما الفصل الثاني فتطبيقي: وارتكزنا فيه على دراسة الرواية وجاء موسوما ب: "تجليات المكان وجمالياته في رواية كاماراد"، حيث تناولنا فيه ثلاث مباحث، تطرّقنا في المبحث الأول إلى نبذة حول الروائي وملخص الرواية، وفي المبحث الثاني أنماط الأمكنة في الرواية المغلقة والمفتوحة، وفي المبحث الثالث ركزنا على جماليات المكان في الرواية من خلال الشخصيات والمكان واللغة .

ونهاية البحث خاتمة تعدُّ خلاصة النتائج التي استوحيناها من هذه المقاربة الجمالية للمكان في رواية "كاماراد"

واعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

-رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع لحاج أحمد الصديق .

-جماليات المكان في" ثلاثية حنا مينا" لمهدي عبيدي.

-بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي.

-جماليات المكان لغاستون باشلار.

واعترضتنا صعوبات أثناء خوضنا لهذه الدراسة المتواضعة نذكر منها: عدم وجود مراجع تطبيقية تناولت رواية" كاماراد "بالدراسة لكونها حديثة الصدور، وكذلك الرواية نفسها صعبت مهمتنا في البحث بسبب ضخامة حجمها، ليس بمقدور الباحث أن يلم بكل صغيرة وكبيرة فيها، فيلتزم فقط بالبحث حول ما يجلي فكرته.

ورغم هذه الصعوبات التي واجهتنا، إلا أننا استطعنا تجاوزها، بفضل الله، ثم الأستاذ المشرف الدكتور "سليمان قوراري"، الذي وقف صابرا معنا في إتمام هذا البحث، ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته وملاحظاته القيمة، فنتوجه إليه بالشكر الجزيل على ما بذله من جهد لإخراج هذا العمل في هذه الصورة.

يوم الاربعاء 12 افريل 2017

الفصل الأول :

دراسة حول المفهوم

المبحث الأول: مفهوم الجمالية

المبحث *الثاني*: مفهوم المكان

المبحث الثالث: المكان في الدراسات النقدية:

1المبحث الاول: مفهوم الجمالية :

1/1الجمال لغة:

حظي الجمال بمساحة كبيرة من الاهتمام الإنساني وارتبط مفهومه في الفكر الإنساني بكثير من نواحي الحياة، وكان انعكاسا لظواهر مادته، وتعبيرا صادقا لمفاهيم كثيرة ميادين الحياة البشرية.

وقد أولت كتب اللغة مفهوم الجمال اهتمامها البالغ، فجاء في "لسان العرب" "لابن منظور" أن "الجمَالُ مصدر الجميل ،والفعل جَمُل...،وقوله عز وجل : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُون وَحِينَ تَسرَحُونَ ﴾[1]،أي:بهاء وحسن.

وقد جَمُلَ الرجل بالضم جمالاً، فهو جميل، والجُمَّالُ بالضم والتشديد: أجْمَلُ من الجَمِيلِ، وجمَّلة أي زَيَّنَهُ ،والتَّجَمُّل تكلف الجَمِيلِ،جَمَّلَ اللَّه عليك تَجميلاً،إذا دعوت له أن يجعله الله جميلاً حسنا، وإمرة جملا، وجميلة أي مليحة، قال بن الأثير: والجمالُ يقع على المعاني، ومنه الحديث: {إن الله جميل يحب الجمال}، أي حسن الأفعال كامل الأوصاف "[2]

و"جمل جمالا، حَسُنَ خَلقُهُ وحَسُنَ خُلقُهُ فهو جميل "[3] ؛أي أن الجَمالُ الحُسْنُ يكون في حسن الخلق و الأخلاق.

وجاء في "أساس البلاغة" "للزمخشري" في مادة (ج م ل) "فلان يعامل الناس بالجميل، وجمل صاحبه مجاملةً، وعليك بالمداراة والمجاملة مع الناس"[4].

ومن خلال هذه التعريفات التي وردت للجمال من الناحية اللغوية، يتضح لنا أن المعاجم لم تكتف فقط بجمال الخلق أو المظهر، بل أكدت أيضا على جانب السلوك والمعاملات أي ما يخص الجمال الأخلاقي أو جمال الروح .

---

[1] سورة النحل، الآية:6

[2] محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الروفيعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3،1414،ص:685.

[3] إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج1، ص: 136.

[4] أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1415هـ، 1998م، ج1، ص: 149،148.

واهتم القرآن الكريم بمادة الجمال في العبارة القرآنية، و ذلك لأن الإسلام دين الجمال والكون مبني على التناسق الجمالي، حيث وردت صيغة الجميل في القرآن الكريم في عدة مواضع منها:

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ العلِيمُ الحَكِيمُ﴾.[1]

أي: ألجأ في ذلك إلى الصبر الجميل الذي لايصحبه تسخّط، ولا جزع فيه، ولا شكوى للخلق.[2]

وقال تعالى: ﴿ومَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَإِنّ السَّاعَةَ لَآتِيَة فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾.[3]

أي: الصفح الذي لا يبقى فيه أثرٌ في القلوب.

وقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِي قُل لِأَزوَاجِكَ، إِن كُنتُنَّ تُرِدنَ الحَيَاةَ الدُّنيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَينَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سِرَاجًا جَمِيلًا﴾.[4] أي: الطلاق من غير ضرار.

وقال أيضا: ﴿واصْبِرْ عَلىَ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هجرًا جميلًا﴾[5].و الهجر الجميل: هو المفارقة إرضاءاً لله تعالى، واجتنابًا لما يغضبه.

إنَّ الرّائع في القرآن الكريم أنه لم يقصر عنايته بمعالم الحسن والجمال في الدنيا والآخرة على الجمال الحسي الذي يدرك بالأبصار، وإنما امتدت هذه العناية إلى الجمال المعنوي الذي يزيد الإنسان جمالًا فوق جماله ونقصد بالجمال المعنوي: جمال الخلق، وجمال السلوك.

---

[1] سورة يوسف، الآية: 83.

[2] عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي: تيسير الكريم في تفسير كتاب المنان، تحقيق: عبد الرحمان معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1: 1420هـ، 2000م، ص: 4003.

[3] سورة الحجر، الآية: 85.

[4] سورة الأحزاب، الآية: 28.

[5] سورة المزمل،الآية:10

2/1الجمال اصطلاحًا:

إن الحديث عن مفهوم الجماليات، يحيلنا حتمًا إلى الحديث عن علم الجمال، هذا المفهوم الذي شغل المختصين بدراسته والاهتمام به وأكثر من اهتم به الفلاسفة، فهو"علم قديم ارتبط بالمباحث الفلسفية..... فمسيرته بدأت مع أفلاطون وأرسطو، وذلك لإبراز الحسن من الرديء، والجميل من القبيح في المواضع والنصوص عن طريق التلقي، والفهم، و الاستيعاب"[1].

إذ عَدّ الفلاسفة الجمال "صفة الأشياء التي تبعث في النفس السرور، والرضا، والقبول، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم؛ أعني الجمال والحق، والخير، والمفهوم الفلسفي للجمال لا يختص في ميدان القيم الفنية، و هذا ما يجعله يختلف عن مفهوم الأخلاق الذي يبحث في السلوك القويم، وأثار هذا المصطلح اهتمام سقراط فرأى أنه يحقق النفع"[2]فهو لا يأبه بالجمال الحسي قدر اهتمامه بجمال النفس والخلق الفاضل وقد ربط مفهوم الجمال بمبدأ الفائدة أو الغاية الأخلاقية؛ أي الجمال الهادف، أما "أفلاطون": "قد خص مثال الجمال بالوضوح....، لذلك فقد كان الجمال أحب الأشياء إلى الإنسان"[3]؛فيرى أنه شيء إلهي، مطلق ولا يتغير، فهو صفة وخاصية في الطبيعة.

وعلى الرغم من تلك الجهود المبكرة، إلا أننا لا نعثر على نظرية جمالية متكاملة، لها حدودها الواضحة، وإنما اقتصرت جهودهم على إعطاء فكرة عن الجمال وحقيقته وعلاقته بالفن كما حاولوا ربط الجمال بقيم الخير والحق، وكانت النظرة الغيبية(الميتافيزيقية) تحكم جهودهم، بحيث يغدو الجمال أمرًا مثاليًا، ونحن نعرف أن أفلاطون حاول جاهدًا أن يفصل الجمال عن الفن حين رأى أن الأخير يفسد الذوق، وأن الفن تقليد للأصل، وابتعاد عن جوهر الحقائق"[4].

---

[1] محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، إشراف: يحي الشيخ صالح، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم،جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية: 2006،2005، ص: 40.

[2] حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي،دار الرضوان للنشر للتوزيع عمان ، ط 1، 2013م،1434 هـ، ص: 25.

[3] أميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال(أعلامها ومذاهبها)، دار فناء للتوزيع والنشر، 1998، ص:43.

[4] عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي بيروت، 1412هـ،1992م، ص: 14.

ثم اختلفت آراء الفلاسفة في رؤيتها لعلاقة الجمال بالفن، فنجد"الفلاسفة الذين تابعو "أفلاطون" وقفوا موقفه حين فصل الجمال، والخير، والحق عن الفن، في حين نجد الذين تابعو "أرسطو" من خلال مفهوم التطهير"[1].

إذا كان الفكر اليوناني قد أفرد للجمال حيزا كبيرًا من جهوده، فإنه لم يعرف لفظة (الإستطيقا) the aesthetic بمفهومه الذي أطلق "في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ليدل على العلم الخاص بالمعرفة الحسية، وأول من أطلقه لهذا المعنى هو "باومجارتن"، فأصبح على علم يوازي ويكمل المنطق"[2]وهو يدل على دراسة المدركات الحسية أي ما يدرك بالحواس.

وعلم الجمال "علم يدرس طبيعة الإحساس الفني، وما يبعث الجمال في شكل من أشكال الفن أو التعبير"[3]، فهو يهتم بطريقة تذوق الفن ورؤيته وملامسة الجميل فيه.

ومن علم الجمال كانت الجمالية التي تهتم بجميع الفنون الأدب، الموسيقى، الرسم، العمارة، النحت "فالجمالية هي البحث العقلي في قضايا الفن على اختلافها، من حيث أن الفن صناعة، خلق جمالي لها أصولها المتنوعة، ولها حرفيتها التقنية الخاصة، غير أن البحث العقلي في قضايا الفن والأدب، لابد حتى يرقى إلى مستوى الجمالية ويصبح في نطاق علم الجمال، من أن يكون النظر فيه على نظرة فلسفية عامة للحياة والكون، يندرج النظر الجمالي في سياقها، كما تندرج في هذا السياق أيضًا سائر مواقف الباحث من ظاهرات الحياة، وقضايا الإنسان ونشاطاته"[4].

وفي الأخير يصبح مفهوم الجمالية خصيصة من خصائص الأدب لا غاية، فغايته هي النظر إلى الأدب بوصفه تجربة إنسانية، لها أبعادها الفكرية، والنفسية و الاجتماعية .

[1] ينظر: الصالح شامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، المكتب الإسلامي بيروت، ط1، 1407هـ، ص: 46-65.

[2] عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، ص: 14.

[3] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت، ط1: 1979م، يناير، 1984م، ص: 86.

[4]محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري، ص: 4.

2المبحث الثاني: مفهوم المكان :

1/2المكان لغة:

حظيت هذه اللفظة باهتمام بالغ في ميدان اللغة العربية فذكرت معنى المكان واستعمالاته المتعددة نظرًا لكثرة وروده في اللغة بناءًا على الحاجة الواسعة لاستعماله سعة الحياة التي تجذرت أغلب عناصرها في المكان.

وقد أشار القرآن الكريم في آيات عدة إلى أن لفظة المكان تدل أحيانًا على :

• الموضع أو المستقر كما في قوله تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اِنتَبَذَتْ مِنَ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[1]؛أي موضعا ، بمعنى :انفردت من أهلها في مكان شرقي بيت المقدس الذي كان فيه محرابها، ومحرابها كافلها زكريا_عليه السلام_وكان وراء هذا الانفراد أن اتخذت حجابًا ويحول بينهما[2].

•وقد جاءت بمعنى المنزلة في آياتٍ عدة منها قوله تعالى:﴿وَرَفَعنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[3]أي :منزلة عالية.

• بينما وردت في موضع أخر بمعنى بدلاً منه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَاأَيُّهَا العَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذ اَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المحْسِنِينَ﴾[4] مكانه أي :بدلاً منه.

ومنه فإن (الموضع،أو المحل ،أو بدلا) منه والمنزلة، من أبرز المعاني المذكورة للمكان في القرآن الكريم.

---

[1] سورة مريم، الآية: 16.

[2] محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج9 ص: 4621.

[3] سورة مريم، الآية: 57.

[4]سورة يوسف: الآية:78.

وذكرت المعاجم اللغوية بدلالات واضحة عن المكان فجاء في 'لسان العرب' 'لابن منظور' تحت مادة (م ك ن) يقول: المكَان والمكَانة واحد... والمكَانُ الموضِعُ، والجمع: أمكِنةٌ...، أمَاكِن جمع الجمع"[1]،

وعرفه المعجم الوسيط:"المكان جمع أَماكِن وأَمكِنة، وأمكن:موضع كون الشيء والمكانَةُ جمع، المكان والموضِع،والمنزِلة، يقال:مكين فيه، أي موجود فيه"[2]

وجاء في الصحاح للجوهري:كلمة"المكان"تحت مادة(ك و ن)"وفيه المكانة:المنزِلةُ... والمكانة الموضِع"[3].

وفي اللغة العربية مفردات أخرى تدل على المكان، ومنها الملأ والحيّز والموضِع، والخلاء، و الأين، والمحل، إلا أن المعاجم اللغوية لم تتناول هذه المفردات إلا من جانب اللغة واشتقاقاته.

2/2المكان اصطلاحًا:

لقد تناولت العديد من الدراسات مصطلح المكان بالدراسة، والملاحظ على هذه الدراسات تباينها واختلافها، فكل تناولها من وجهة نظر مختلفة.

بداية نشير إلى أن قضية المكان، شغلت اهتمام الفلاسفة القدماء، حيث يرى"أفلاطون"أن المكان هو"الحاوي للأشياء"[4]إذ عُدَّ هذا التعريف الاصطلاحي للمكان حجر الأساس، واللبنة الأولى في تحديد ماهية المكان.

بينما يرى"أرسطو" أن"المكان موجود مادمنا نشغله ونتحيّز فيه، وكذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها حركة النقلة من مكان إلى آخر"[5]وبحسب تصوره، فالمكان موجود لا يمكن نفيه، أو إنكاره مادمنا نشغله ونتحيّز فيه،نجد بأن "أرسطو" في هذا التعريف قد توسع في تعريف"أفلاطون"بشكل قليل غير مخل في هذا التعريف.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة(ك، و، ن)، ج4، ص: 3960.

[2] إبرا هيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، ص: 309.

ابن اسماعيل بن حماد الجوهري ،الصحاح تاج اللغة العربية والصحاح العربية ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان، ج1 ,1399 ، 1979،المجلد6، ص:2191.

[4]حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص : 29.

[5]مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه (حكاية بحار_الدّقل_المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق،2011م، ص:28.

فالمكان هو"الفسحة، الحيّز الذي يحتضن عملية التفاعل بين الأنا والعالم، من خلاله نتكلم وعبره نرى العالم ونحكم على الآخر إنه الشفرة (code) التي نتحصن بها في مواجهة الآخر"[1].

وبالنسبة للفلاسفة الإسلاميون، فإن مفهوم المكان لديهم لا يختلف عن مفهومه في الفلسفة اليونانية، فيعرفه "الكندي" بأنه: "السطح الباطن للجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي "[2] ، أما"الفارابي "فتأثر بآراء "الكندي" وأكد أن "المكان موجود بين ولا يمكن أن يوجد جسم من دون مكان خاص به"[3]، ويرى"أبو بكر الرازي"أنّ المكان ينقسم إلى "مكان كلي أو مطلق ومكان جزئي ومكان مرتبط بالمتمكن"[4].

أما في الفلسفة الحديثة والمعاصرة فقد شغل اهتمام الفلاسفة وأخذ المكان عندهم مفهومًا خاصًّا، فيرى "ديكارت" "أنه ماهية الأشياء ذاتها وجوهرها المادي، فامتداد المادة وتحيّزها ليس عرضًا طارئًا عليها، بل هو صورتها وماهيتها، فالمكان إذاً جوهرها وليس في الكون خلاء"[5].

لقد تباين مفهوم المكان، ومن عصر لآخر ومن فيلسوف لآخر، غير أن الذي يلفت الانتباه أن المكان أثار حفيظة الفلاسفة وأغراهم لما له من أهمية كبيرة يتوقف عليها .

إن مفهوم المكان في الفلسفة ما هو إلا تصور عقلي لتحديد علاقة الإنسان بالمكان، والأشياء بالمكان، وقد تكون جدالات الفلاسفة حول المكان هي الجذور الأولى لإشكالية المكان الروائي، فالشكل الروائي ذو علاقة في جذوره مع المواقف الفلسفية، وقد أكدت اجتهادات الفلاسفة قديما وحديثا على مدى حرص الإنسان وإدراكه، لأثر المكان ودوره الكبير في تحديد العلاقات بينه وبين العالم الخارجي، وإن ما دعانا إلى التطرق إلى مفهوم المكان فلسفيا هو محاولة الاقتراب أكثر من مفهوم المكان، للاستفادة من فلسفته في بناء تصور جمالي للمكان .

---

[1]عبد القادر بن سالم، بنية الحكاية في النص الروائي المغاربي الجديد، دار الآمال،ط1، 1434هـ،2013م،ص:113.

[2] عبد الرحمان بدوي موسوعة الفلسفة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط 1،1984 ،ص: 462.

[3]حسين العبيدي ،نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، ص:33.

[4]مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، ص: 29.

[5]محمد اليعقوبي ، الوجيز في الفلسفة،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط3. (د.ت)،ص: 350.

ومنه فالمكان واحد من أهم عناصر الرواية، وهو شرط من شروط العمل فلا يكاد يخلو من الإشارة إليه أو التصريح به بالإضافة إلى كونه يمثل" الخلفية التي تدور فيها الأحداث وتتحرك من خلالها الشخصيات"[1]، إذ يعدّ مكونا هاما ومحوريا في بنية السرد، وتتجلى هذه الأهمية في أنه "لا يمكن تصور حكاية بلا مكان، ولا وجود لأحداث خارج المكان ،ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان وزمان معين "[2]، ولما كان الإحساس بمعاني المكان موصولاً بالزمان ومتصلاً به فقد بدا صعبا"... قراءة المكان بمعزل عن تضمين الزمان, ويصعب تناول الزمان في عمل سردي , دون أن ينشأ عن ذلك مفهوم المكان في أي مظهر من مظاهره "[3] إذ العلاقة بين الزمان والمكان في الأعمال السردية تبادلية ، وإن الأمكنة المتعددة في الأعمال السردية إنما تفصح عن معانيها ووظائفها السردية عبر الزمان .

والمكان هو" ..الجغرافية الخلاقة في العمل الفني "[4]، إذ يؤثر في جميع العناصر المكونة لعالم المتخيل السردي ، فيؤثر في الشخصيات التي تتحرك على أرضه و المواقف التي تحدث في إطاره ,ويساهم في بناء العمل الروائي.

[1] أسماء شاهين ،جماليات المكان في روايات جبرا خليل جبرا،دار القارئ للنشر والتوزيع ،الأردن،ط 1، 2001،ص:15.

[2] محمد بوعزة ،تحليل النص السردي - تقنيات ومفاهيم- منشورات الاختلاف الجزائر ،ط 1 ،2010 ص: 99 .

[3] عبدالملك مرتاض .تحليل الخطاب السردي , ، ص 227

[4] ياسين النصير، الرواية والمكان ،دار الحرية للطباعة ،بغداد، 1986،ص: 17 ،18.

3المبحث الثالث: المكان في الدراسات النقدية:

1/3عند الغرب:

تتعدد النظريات التي تهتم بالمكان لاختلاف المقولات المرجعية والمعرفية التي تنطلق منها، ويمكن لنا أن نقف على بعض الدراسات التي تعتقد بأهميتها في إعطاء صورة عامة عن مجمل المقاربات المكانية الحديثة.

حيث حاول النقاد الغربيون التمييز بين المصطلحات الآتية، والتي تصب جميعها في مفهوم المكان وهي: الموقع، الفضاء، و"أول من اهتم بالمكان هم الفرنسيون وذلك في العهد الستينيات والسبعينيات"[1]، ولعل أبرز من أسهم بفاعلية في لفت الانتباه إلى مصطلح المكان الدراسة التي قام بها الناقد"لوري لوتمان" الذي يعرفه على أنه "مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والأشكال، والصور والدلالات المتغيرة التي تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الامتداد والمسافة"[2] و تعد العلاقات المكانية التي يعانيها "لوتمان"في هذا التعريف وسيلة من الوسائل الرئيسية لوصف الواقع فمفاهيم مثل الأعلى / الأسفل /القريب/ البعيد/ المنفتح/ المغلق/ ، كلها تصبح لبنات في بناء نماذج ثقافية لا تظهر عليها صفات مكانية.

ويحاول بعض النقاد الغربيين المعاصرين التفرقة بين مستويات مختلفة من المكان" فضاق الفرنسييون بمحدودية كلمة Lieu (الموقع) فبدأوا في استخدام كلمة Espace (فراغ)، "أما نقاد الإنجليزية" لم يرض عن اتساع Space/ place(مكان،فراغ) وأضافوا استخدام كلمة Lacation (بقعة) للتعبير عن المكان المحدود لوقوع الحدث".[3]

وينطلق "غريماس" في تحديده لمفهوم المكان من زاوية رؤيته للفضاء، إذ يرى أنه"هيكل يحتوي على عناصر متقطعة غير مستمرة، لكنها منتشرة عبر امتداده وفق نظام هندسي متميّز يسهم في تصويره

---

[1]كلثوم مدقن، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة للطيب صالح :مجلة الأثر، مجلة الآداب واللغات،جامعة ورقلة، عدد4،ماي 2005م،ص:140

[2]باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، الكتاب العالمي، عمان، الأردن، دار الكتب الحديث: إربد– الأردن، ط1،1429هـ ،2008م،ص:175.

[3] سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مهرجان القراءة للجميع،مكتبة الأسرة 2004،القاهرة، ص: 105 ، 106 .

التحولات والعلاقات المدركة والمحسوسة بين الذوات الفاعلة داخل الخطاب السردي "[1] ، فيربط"غريماس""مفهوم المكان عنده بالخطاطة السردية إذ لا يعتبر في نظره المكان مجرد فضاء فارغ تصب فيه التجارب الإنسانية، إنما يتعلق بما تمليه عليه الخطاطة السردية.

وبذلك يتوزع المكان كسلسلة من المحطات التي لا وظيفة لها إلا بتفاعلها مع رحلة البطل، ومن خلال تلك المحطات تطرح مجموعة من الإشارات الشكلية التي تساهم في تفكيك القصة إلى مقاطع ومن ثم تؤدي إلى كشف الأماكن"[2]حيث ركز"غريماس"في هذا الصدد على دور اللغة في إبراز المكان من خلال الأحداث التي تسردها مثلا.

وحددت أربعة أماكن للمكان عند"مول"و"رومير"وجميعها يتعلق بالسلطة التي تخضع لها تلك الأماكن وهي:

1_ "عندي: وهو المكان الذي أمارس فيه سلطتي، ويكون بالنسبة لي مكانًا جميعًا وأليفًا.

2_ عند الآخرين: وهو مكان يشبه الأول في نواحي كثيرة، ولكنه يختلف عنه من حيث أنني_بالضرورة أخضع فيه لوطأة سلطة الغير، ومن حيث أنني لابد أن أعترف بهذه السلطة.

3_ الأماكن العامة: وهذه الأماكن ليست ملك لأحد ولكنها ملك للسلطة العامة للدولة وداخلها نجد شخصًا يفرض سلطته مع أنه يعد هو أيضًا متحكم فيه، كالشرطي الذي يتحكم في السير ويكلّف بالتنظيم وفي الوقت نفسه يخضع لسلطة أقوى منه تفرض عليه قوانينها.

4_ المكان اللامتناهي: وهو المطلق الحر الخالي من الناس كالصحراء والبحر وهذه الأماكن لا يتحكم فيها أحد وتخضع لسلطة الدولة وقهرها، كما أنها تفتقر إلى المرافق العامة والحضارية وإلى ممثلي السلطة"[3]، ولجميع هذه الأماكن أثر القارئ يتفاعل معها بحسب رغبته.

ومن أبرز من أسهم في إبراز المكان وإعطائه دلالة داخل النص الروائي "غاستون باشلار"في كتابه "جماليات المكان" وفيه ركز على بيت الألفة وأعطى مفهومًا للمكان حيث أطلق عليه" المكان الأليف الذي ولدنا فيه ... والمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا وتبعث أي الطفولة"[1].

---

[1] باديس فوغالي، جماليات الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص: 175، 176.

[2] سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، (د.ت)، (د.ط)، ص:63.

[3] لوري لوتمان، سيزا قاسم وآخرون، جماليات المكان الفني، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2 1988، ص: 62.

ومما سبق شهد مفهوم المكان تطورات جذرية في النقد الغربي الحديث، لاسيما على يد الناقد "غاستون باشلار"ومن نحا نحوه من مؤسسي النقد الظاهراتي، وقد تركت هذه التطورات أثرها على النقد العربي الحديث خاصة بعد الانتشار الواسع لمفهوم المكان وجمالياته؛ إثر ترجمة كتاب شعرية الفضاء "لغاستون باشلار" التي قام بها الناقد "غالب هلسا" وما صاحبها من إشكالات وتداخلات تتعلق بممارسة المصطلح وهذا ما سنحاول التطرق إليه في العنصر الآتي:

2/3عند العرب:

يواجه النقد العربي إشكالية توظيف مصطلح المكان في الدراسات السردية إذ يوجد تباين واضح في الرؤى و المفاهيم، ولا يوجد اتّفاق مبدئي حول المصطلح: المكان، الحيز، الفضاء، وحول هذا التداخل المفاهيمي فإنه من المفيد الرجوع إلى جهود بعض النقاد العرب الذين تناولوا هذا المصطلح (المكان) بالفصل أحيانًا وبالتداخل أحيانًا بينه وبين المصطلحات الأخرى.

فنجد الناقد "حسن بحراوي" في كتابه "بنية الشكل الروائي"الذي جمع فيه عددًا هائلاً من التعريفات النقدية الغربية لمفهوم الفضاء الروائي، إلا أنها أبانت في قسمها التطبيقي عن تردد كبير بين مصطلحي المكان والفضاء، وكان يقر بشمولية الفضاء للمكان حيث يذهب إلى أن"الفضاء ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات المشاركة فيه"[2]

في حين يذهب الناقد **"حميد الحميداني"** في **"كتابه بنية النص السردي"** إلى أنه يتخذ أربعة أشكال "الفضاء كمعادل للمكان، والفضاء النصي، والفضاء الدلالي، والفضاء كمنظور"[3]إضافة إلى ذلك يشير إلى أنَّ"الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء، ومادامت الأمكنة في الروايات غالبًا ما تكون متعددة، ومتفاوتة، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعها أنه العالم الواسع

---

[1]ينظر: غاستون باشلا، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، الموسوعة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع بيروت، ط3، 1987 ، ص: 6.

[2]حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1 ، 1990، ص: 31.

[3] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1 ،1991ص: 62.

الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية "[1]؛أي أن الفضاء وفق هذا التصور"شمولي إنه يشير إلى المسرح الروائي بكامله والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقًا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي".[2]

وحاول الناقد الجزائري"عبد الملك مرتاض" التمييز بين المصطلحات الآتية: الحيز، الفضاء ،المكان ، إذ يقول :"المكان الذي نقفه على الحيز الجغرافي الحقيقي، ومثل الفضاء الذي نريد به إلى كل ما هو مجرد فراغ أصلًا، كما يدلّ على أصله اللغوي والحق أنَّ هذا المعنى يطلق أيضًا على الحيز الجغرافي الحقيقي، حيث أنّ تعريف الفضاء في بعض المعاجم العربية هو المكان الواسع من الأرض".[3]

و يذهب إلى توظيف مصطلح الحيز مقابلاً لمصطلح فضاء معتقد"أن الفضاء قاصراً بالقياس إلى الحيز، لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريًا في الفراغ".[4]، ثم يضيف مفرقًا بين المكان والحيز إذ يرى أن "المكان يدل على ما هو جغرافي ماثل بتفاصيله، أما الحيز فيدل على ما هو غير ذلك في النص، ويعني به الحيز النصي المشكل من سرد ووصف وحوار وما إلى ذلك"[5]، ووفق هذا التصور فالحيز"أكبر من الجغرافيا مساحة و أشسع بُعدًا وأنه امتداد وارتفاع وطيران وتحليق في عوالم لا حدود لها".[6]

ونظرًا لتعددية المكان وتحوله من نص روائي إلى آخر، فإن النظرة للمكان لم تكن واحدة لدى هؤلاء الدارسين، وهذا ما يجسده اختلافهم في التقسيمات التي يؤول إليها المكان الروائي.

ومن ثم فإن مختلف الآراء السابقة التي تشكلت حول "المكان"، هي عبارة عن اجتهادات متفرقة لها قيمتها العلمية، تحتاج إلى رؤية تنظيرية موحدة للخروج من عتمة المفهوم، وبناء أرضية ذات أسس وقواعد تعتمد عليها مختلف الأبحاث النقدية،كما أنه من الواجب على المثقفين عبر المجامع اللغوية السعي لتوحيد المصطلحات النقدية لتعبر عن هوية وأصالة الأمة العربية والإسلامية.

---

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص: 63.

[2] المرجع نفسه، ص: 63.

[3] عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد: عالم المعرفة، الكويت في شعبان 1998، ص: 221.

[4] المرجع نفسه، ص:63.

[5] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص:177.

[6] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية،ص:222.

الفصل الثاني

تجليات المكان في رواية كامارد "رفيق الحيف والضياع"

المبحث الأول : حول الروائي والرواية

المبحث الثاني : أنماط المكان في الرواية

المبحث الثالث: جماليات الأمكنة في رواية كامارد

1المبحث الاول : حول الروائي والرواية

1-1- حول الروائي:

الدكتور الصدّيق حاج أحمد

HADJ-AHMED seddik

من مواليد 1967/12/19 بأدرار الجزائر

أكاديمي وروائي نشأ بمسقط رأسه زاوية الشيخ المغيلي بولاية أدرار بالصحراء الجزائرية ، تلقى تعليمه القرآني بداية بكتّاب القصر على يد شيخه الحاج أحمد لحسيّن الدمراوي رحمه الله، تدرّج في التعليم النظامي، حيث تحصّل على الباكالوريا و الليسانس و الماجيستير و الدكتوراه، يشتغل أستاذا محاضرا لمقياسي اللسانيات و فقه اللغة بجامعة أدرار، تقلّد منصب نائب عميد كلية الآداب واللغات لمدة سنتين، ورئيس تحرير مجلة أصداء الجامعة، ليتفرّغ بعدها للتدريس و البحث و الإبداع. أشرف وناقش عديد الأطاريح والرسائل والمذكرات، شارك في عديد الملتقيات الدولية والوطنية، كما نشر عددا من المقالات العلمية في مجلات محكمة دولية ووطنية، مشارك دائم بالصحافة الجزائرية المكتوبة، كما له مساهمات دائمة كذلك بالصحافة العربية، لاسيما بجريدة العرب اللندنية و مجلة الجديد اللندنية. [1]

[1] - مقابلة شخصية مع الروائي جاح أحمد الصديق،يوم الثلاثاء 2017/04/18 على الساعة 12:30 ، بكلية الآداب جامعة أدرار

النتاج الابداعي المنشور:

-رواية مملكة الزيوان ط1 2013 دار فيسيرا الجزائر/ط2 2015 دار فضاءات الأردنية.

-رواية كامارد: رفيق الحيف والضياع ط1 2016 دار فضاءات الأردنية/ط2 2016 مشتركة بين دار فضاءات الأردنية ودار ميم الجزائرية.

***الإصدارات الأخرى:**

- التاريخ الثقافي لإقليم توات ط1 عن مديرية الثقافة لولاية أدرار2003، ط2 دار الحبر الجزائر2011.
- الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته و آثاره – دار الغرب للتوزيع و النشر – وهران – الجزائر 2009.
- الدراسات اللغوية بتوات – أطروحة دكتوراه تحت النشر.
- حفريات في المخيال الشعبي التواتي.[1]

[1] - مقابلة شخصية مع الروائي جاح أحمد الصديق،يوم الثلاثاء 2017/04/18 على الساعة 12:30 ، بكلية الآداب جامعة أدرار

2-1- حول الرواية:

رواية "كامارد" رفيق الحيف والضياع، الصادرة عن دار فضاءات الأردنية، الطبعة الأولى 2015، للروائي حاج أحمد الصديق الملقب بالزيواني.

تحكي رواية "كامارد" عوالم الهجرة السرية، وعوالم الصحراء، وهواجس الرجل الإفريقي ذو البشرة السوداء، وقضايا الهجرة الغير شرعية، وهوامش الأفارقة في تحقيق حلم الهجرة إلى فردوس أوروبا في طريق محفوف بالمخاطر،والإنكسارات، والمتاعب، والتيه، والموت.

تبدأ أحداث الرواية تخييلية مع المخرج الفرنسي "جاك بلوز" الذي شارك في مهرجان "كان" السينمائي، حيث "منَّى نفسه بالسعفة الذهبية لهذه الطبعة، دورة ماي 2012، من خلال فيلمه الأسطوري مغارة الصابوق"،[1] إلَّا أنّ حلمه لم يتحقق، فقرر البحث عن موضوع جديد ومختلف لفلمه، ورأى أن تيمة الهجرة السرية للأفارقة قمينة بهذا الحلم، والسفر إلى نيامي بالنيجر والبحث عن " كامارادي حراG"، جرَّب المسالك الوعرة للهجرة، ووصل جنة المأوى أو أخفق .... عرف دروب الهجرة وهوامشها ".[2] وكان من حسن حظه أن "مامادو" عاد هذا الأخير قبل يوم واحد من رحلته الخائبة إلى الفردوس بعد إخفاقه في اجتياز سياج سبتة الإسبانية، فيلتقي به ويعرض عليه مكافئة لو أنه حكى له قصَّة رحلته نحو الفردوس الأروبي.

قسم البطل حكايته إلى فصول:

_ في القبر:/ مرحلة فقره بالحي الشعبي قمكلي.

_ البعث:/ مرحلة مجيء فكرة الخلاص (الهجرة).

_ النفخ في الصور:/ فترة إقناع أمه ببيع بقرة العائلة بكتو المصدر الوحيد للرزق ليتزود بثمنها في سفره.

_ المحشر:/ خروج الرفاق ووداعهم.

_ على الصراط:/ المرحلة التي قطعها مع المهربين بالصحراء، كما نعت المدن التي مرّ بها في رحلته بمدن الأحلام، فعين قزام (مارسيليا ليكامارد)، تمنراست(باريس ليكامارد)، أدرار(روما ليكامارد)، مغنيّة(مالطا ليكامارد)، وجدة (قبرص ليكامارد)، أمّا الفصل الأخير المتمثل في مرحلة تخطي الحواجز الفاصلة بين إفريقيا وأوروبا فعبّر عنه بالرّجّة الكبرى.

---

[1].الصديق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع، فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص:12-13

[2]الرواية، ص:29.

"مامادو" شخصيّة نيجيريّة محوريّة يسكن بحي " Gمكلي" أفقر حي بالعاصمة"،[1]رفقة أمّه "سلاماتو" وأخته "زينابو"، ورفاقه الذين قرّر الهجرة معهم نحو "دار الخلد"الأروبية،[2]فهم يرون بأنّ "الفردوس رهين المغامرة والموت"،[3]هروبًا من الواقع المسدود، والمجاعات، والأوبئة ، والحروب، والأمراض، بحثا عن الحريّة وتحسين المعيشة،بعيدًا عن الإهمال في دول جنوب إفريقيا.

تنطلق رحلته من النّيجر بنيامي، نحو فردوس الشّمال، سالكًا أصعب الظّروف في إرضاء العالم النّفعي، بجواز سفر مزوّر، هي رحلة مليئة بالضّياع، والحيف، والعذاب، والمغامرة التي تبتدئ "مع سماسرة تهريب البشر على الصّراط لقطع الصّحراء الكبرى وصولاً للجارة الشّماليّة .... مع ما يشترط فيه هؤلاء من أثمان باهظة بلا شفقة على السلعة البشريّة المهرّبة !!"،[4] في سبيل تحقيق أحلامهم، لينتحل هويّة أخرى مسيحيّة ماليّة تدعى كوليبالي"،[5] طيلة تواجده بأرض الجزائر، ليعبر به من تمنراست إلى توات ثمّ مغنيّة، وصولاً إلى الحدود المغربيّة "بالحافلات والمشي على الأقدام أثناء التَّسلُّل بين حدودهما بعيدًا عن عيون حرس الحدود"، ليصل إلى مدينة الفنيدق نحو سبتة الإسبانيّة لعبور سيّاج شائك، آخذ في العلو طوله 9 أمتار، للوصول إلى جنّة الأحلام، في ليلة أعياد الميلاد، ليسقط أخيرًا في يد الحرس المغربي بعدما ضاعت منه مخلّصته تميمة Gونكي الّتي أعطتها له أمّه"[6]كحجاب من كل ضيق"ردّوه بالطّائرة إلى بلده بعد رحلة دامت ستة أشهر، أقلّ ما توصف به أنّها شبه قاسيّة وميّتة".[7]

وفي الأخير حاول الرّوائي أن يقدّم حلولاً للهجرة الغير شرعيّة للأفارقة، عن طريق منح المخرج للبطل "مامادو" كاميرا وداكتيفون، بغية أن يخرج مع رفاقه فيلماً وثائقيًّا عن الفقر بنيّامي"،[8] وسيقوم هذا المخرج بالترويج لهذا العمل في صفحته على الفيسبوك يقول:

"[[أيّها الشّمال القانط من الجنس الكامارادي الزّاحف..

أيّها الجنوب العربي،المتذمّر من عبور شعب ليكامارد..

---

[1]الصدّيق حاج أحمد ، كامارد رفيق الحيف والضياع، ص: 22.

[2]الرّواية، ص: 47.

[3]الرّواية، ص: 67

[4]الرّواية، ص : 45.

[5]الرّواية، ص : 291.

[6]ينظر الرّواية، ص : 347، 350 ،353 ،354.

[7]الرّواية، ص : 26.

[8]ينظر الرّواية، ص: 360

لاحلّ لنا من أخطبوط الهجرة..إلاّ بخلق فرص نشاط، تثبّت هؤلاء الأفارقة المتعبين بخيبات الحياة وانكساراتها ببلدانهم..

لن ولن نوقف هذا التدفّق المريب، إلاّ بفعل ذلك..

..."[1]

هل الرواية وعظية ؟،وهل للراوي الحق أن يقدم حلولاً ؟،هل ما قدَّمه يمكن اختزاله بهذه البساطة، أم أنَّ المسألة أكثر تعقيداً وتحتاج إلى عدَة مقاربات للتقليل من ويلات ومخاطر الهجرة السريَّة؟.

[1]الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضّياع، ص: 362.

2المبحث الثاني: أنماط المكان في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع:/

يعدّ المكان عنصرًا متميّزًا لا يمكن إغفال دوره الكبير في لم وشائج العناصر الفنّيّة الأخرى المكوّنة لجنس الرّواية. وهذا يعني أنّ المكان لابدّ منه في العمل الرّوائي، ولقد اختلفت الأمكنة بين مكان مغلق وآخر مفتوح ولكل منها صفاته، ونحن في دراستنا للأمكنة المغلقة والمفتوحة الموجودة في الرواية ، سنقف على الأماكن التي عاش فيها البطل "مامادو" والتي سافر إليها .

1.2الأماكن المغلقة:

المكان المغلق "هو المكان الذي يمثّل الانسداد و الانغلاق، كما يتّصف بالتّحديد، وهذا لاينفي انفتاحه على أمكنة أخرى".[1]

إذ يعتبر"مكان العيش والسّكن الذي يأوي إليه الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزّمن، سواءًا بإرادته أو بإرادة الآخرين لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الجغرافية والهندسية".[2]فهو مكان الألفة.

1البيت:

يعتبر أحد الأماكن المغلقة بالنّسبة للمجتمع، ومكانًا مفتوحًا بالنّسبة للشّخصيّة الّتي تسكنه "فمن خلاله تصبُّ هذه الأخيرة ألمها وفرحها وكذا حزنها وغضبها، فالبيت يعدُّ أهم مكان في حياتنا لأنّنا نعدُّه مكاننا الأوَّل أو بالأخرى مكاننا الطُّفولي كما سمّاه "غاستون باشلار""".[3]

وقد شغل البيت حيزا مهما في حياة الإنسان ،إذ يعتبر ملجأ كل إنسان بعد يوم من الشقاء والعمل والعناء، وتعدّدت تسمياته: منها الدّار، والبيت، والمنزل ،والشقة ،والقصر....إلخ .

بيت عائلة "مامادو": هو المكان الذي عاش فيه البطل حياته التي قضاها في فقر وشقاء ،يقع بحي Gمكلي بالنيجر"من تلك البيوت بالحي الشّعبي الّتي يطلق عليها بيوت على سبيل المجاز".[4]

إنه بيت من خلال الوصف" يشير الوحشة والقلق،يشير إلى عقم الحياة وتعفنها، مكان بائس كبؤوس الشخصيات التي التحمت المكان" [5]، يقول "مامادو": انزويت بالسقيفة المظلمة التي أنام قربها برحبة البيت ليلا، تمددت على الحصير، هي سقيفة مظلمة مستطيلة، صُبغت جدرانها بدخان حطب التدفئة والطهي شتاءاً

---

[1]كلثوم مدقن، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشّمال، ص: 141.

[2]مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنّا مينه، ص : 44

[3]ينظر: غاستون باشلار، جماليات المكان، ص: 75

[4]وردة سلطاني، التشكيل المكاني في النص الثّوري "زهور ونيسي" نموذجًا، ص: 620.

[5] مهدي عبيدي: جماليات المكان قي ثلاثية حنا مينه، ص:58.

.....سقف هذه الأخير مغطى بأعواد شجر الكرنك، تتدلى منه أطراف أسمال تِلاَد نالت هي الأخرى حظَّها من الغبار و الدخان، حتى خلصت التي بها نسبة من خيوط النيلون "،[1]فهو بيت يدلّ على وضع اقتصادي واجتماعي مترد، أما مطبخه "فمكان نستطيع القول إنَّه (مطبخ) إلاّ من باب معرفة الأشياء لأماكنها فقط، أمّا في الحقيقة فهو أبعد ما يكون في خيال المتوقّع....".[2]

بيت جارهم "موطاري" والد إدريسو "كان الباب الخشبي لبيتهم، الباب الوحيد بالحي، المصنوع في ورشة النِّجارة بالمدينة....انعكاس ضوء المصباح الكهربائي....أنَّه يضيء مكانًا مقبولاً من رحبتهم"،[3] وبيت العم "بامبا" "بابه مصنوع من أعواد شجر المانG "[4]

فهذه البيوت من خلال وصفها دلالة على الفقر والشّقاء فهي تعبّر عن أصحابها، لأنّك إن وصفت البيت بالضّرورة، وصفت الإنسان الّذي يعيش فيه بالضّرورة، يقول "مامادو": "وجدت أمّي جالسة مسمّرة وسط الرحبة، تعتقد بتشابك أصابع يدها على ساقيها، أختي بقربها مرتفعة يدها على وسادة رثَّة من عهد جدِّي "غندا"،سلَّمتُ عليهما جلست يُمنة أمّي، الضّوء خافت هناك عند مدخل طهي الرفيقة (هرا)"،[5]وهذه الأخيرة "كسرة من مسحوق الذرة المخلط مع حليب بقرتنا بَكتو لاغير...".[6]

وأيضًا ذكر الكاتب وعلى لسان بطله "مامادو" توصيفًا للبيت الّذي كان يسكنه خلال رحلته إلى الفردوس، مروراً بمدينة تمنراست بحي الشّاطو؛ وهو مكان تجمّع ليكاماراد : "بابه مصنوع من برميل حديدي صادئ غير مصبوغ....يتدلّى من وسط ثلثه الأعلى، حبل يسع مقبض اليد....رحبة واسعة معرَّاة....حيطانها الخارجيّة ليست عاليّة، تنفتح فيها غرف كثيرة"[7]، لا يكتفي السارد بوصف جغرافية المكان، بل يصف لنا حالة مطبخه "الأوساخ منتشرة في كل مكان بالمطبخ، على الأرض على الحيطان، قدر وحيدة يتعاور عليها الرفاق، طاب قاعها من النار".[8]

---

[1]الصدّيق حاج أحمد، كاماراد رفيق الحيف والضياع، ص:66 .

[2]الرواية، ص : 65.

[3]الرّواية، ص: 76.

[4] الرّواية، ص: 77.

[5]الرّواية، ص: 92.

[6]الرواية، ص: 65.

[7]الرواية، ص : 232

أما البيت الذي قطن فيه بولاية أدرار بالحي الغربي فيصفه "مامادو" بأنه :"بيت طيني....عبارة عن رحبة أو قل عنها ساحة كبيرة....تنفتح فيها ثلاث غرف كبيرة جدّا على شكل مراقد.....، ينفتح في زاويتها الغربية مرحاض وحمّام، كما ينفتح في زاويتها الشرقية مطبخ، التذكارات الحائطية موجودة هنا كذلك..دخلنا مرقد واسع، طويل وعريض....مسقّف بالزنك والأعمدة الحديدية، التي تشبه سكك الحديد، تنفتح منه كوّتان جهة الساحة، مصبوغ بدخان التدفئة زمن الشتاء، به تذكارات كامارادية أيضا..علّقت في حيطانه أوتاد وأعواد كثيرة،تتعلق بها ملابس بالية وحقائب مهترئة".[1]

إن هذه البيوت تشترك جميعاً في وضعيتها الاجتماعية المزرية، وعدم توفرها على شروط الاستقرار ،بحيث تزفُّ للقارئ واقع الحياة البدائية البسيطة لهؤلاء الأفارقة، والقيمة الجمالية هذه البيوت لا تكمن في مظهرها الخارجي، وإنما في بعدها الفني باعتبارها مكانا احتوى تراكيب اجتماعيه أعطته قيمة جمالية.

2مجلس فضا:/

مجلس فضا مكان مغلق، وهو المكان الذي يضم الرِّفاق الملتقين حول صينية الشاي، وجهاز قراءة أغاني محلّية، لشرب الشاي وسماع بعض الأغاني ونسيان همومهم، عبَّر عنه "مامادو"بقوله : "النّادي الوحيد الذي كنا نختلف إليه ونلتقي فيه نحن شباب الحي، خلال أوقات العشية لشرب الشاي، هو مجلس فضا"[2]، فيتبادلون أطراف الحديث ويتسامرون ويرقصون وينسون أعباء الحياة ومشاكلها ويسمعون أغاني المغنية "فاطي ماريكو"،[3] يقول "مامادو": "على إيقاع نغمتها التي تمدنا بلحظات حالمة ننسى بها بؤسنا، ونقبض فيها على الزمن الهارب، الذي يحلو لنا نعته، في شريعة فقرنا وملة بؤسنا ب(ابن الكلب)".[4]

كما تبين لنا الرواية طقوس جلسة الشاي التي تمثل عند رفاق مجلس فضا نوعاً من أنواع طقوس العبادة اليومية "بالكاد يُنهي بسط الحصيرة السعفية على الأرض، وضعَ صينية الشاي النحاسية المستديرة وسط المفروش، حيث صُفّت في تلك الأخيرة، فناجين الشاي الزجاجية الشفّافة المقلوبة، يرقد بينها كوب كبير ... رُكن إلى جنبها إبريق حديدي أزرق صاديء لطبخ الشاي..... الطقس الأخير من تقاليد رفيقنا.. بعد وضع كانون الفحم في أحد الزوايا الخارجية للحصير[5].

---

[1]الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع ، ص : 312.

[2]الرواية، ص : 36.

[3].الرواية، ص: 39

[4]الرواية ، ص: 39.

[5] الرواية ،ص:39,38.

وضع ورق الشاي مع الماء في الإبريق، حَطّه على جمر الكانون، ليتولى أمر إعداده بكل احترافية رفيقنا غاريْكو..... الإبريق و هو يفور فوق جمر الكانون..... التفتُ إلى جانبي، ثنيتُ قطعة ورق خَلِق، أمسكتُ بها مقبض الإبريق الساخن، من على الجمر، ناولته إياه، وضع الإبريق وسط الصينية، رفع غطاءَه، في غمرة تصاعد البخار، صبّ شلالا خفيا من ذلك السّكر الأبيض النّاعم.... البخار المنبعث من الإبريق أعاد تغطية البرّاد!! بكل أناة، رفعه إزاء كتفه، أماله ميلا خفيفا، خرج الشاي مبروما من خرطومه،... إنَّ ذلك الشاي المتدفّق المفتول... لَيبلُغ قاع ... الخلاّط، لتتشكّل منه رغوة لامعة، تعلو الثلث الأعلى منه، ليعيد القائم بطقوس الشاي صبّه في الإبريق ثانية، قبل أن يعيد حركة الشلاّل المفتول في الخلاّط." [1]

قد لعب هذا المكان دورًا حيويًا في الربط بين هؤلاء الرفاق، من خلال جلسات الشاي اليومية وقضاء أوقات مرحة مع بعضهم ينسون فيها همومهم ومشاكلهم ، مما يجعله عنصرًا فاعلاً تبتدئ حيويته في كونه النادي الترفيهي الوحيد لمامادو ورفاقه بحي Gمكلي، وهو أيضا المكان الذي تشكلت فيه فكرة الخلاص الهجرة نحو الفردوس يقول :"دون أن نشعر _نحن الرفاق الأربعة_وجدنا أنفسنا نناقش سبل الخلاص من واقعنا المسدود..."[2]

3 _ المقهى:/

مكان مغلق باعتباره يقع داخل مبنى، ومكان مفتوح لأنه يستقطب اللقاءات العامة والخاصة "إنها مفتوحة للكل، الكل يلجها، أقول على الخارج بما فيه من أشخاص، فداخلها يتجدد كمياه البحر وفي تجدده تتعدد المشارب والأهواء وتتعانق اللغات والقضايا وبالتالي هو مكان الفرجة على الآخر"،[3] وقد تردّد ذكر المقهى في النص الروائي عدة مرات، حيث وصف بطل الرواية هذه المقاهي التي زارها بمدن أحلامه كما يلي:

. مقهى الأنترنت بحي Gمكلي:

يصف لنا مامادو مقهى الأنترنت الموجود بمدينة نيامي، والذي نعته"بكوخ الأنترنت"،[4] يقول:"بالله عليك كيف تطلق على هذا المكان اسمC reCybafe؟"[5] مساحته لا تتعدى تسعة أمتار مربعة، ألقيت في جوفه

[1] الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع ، ص : 43.42.

[2] الرواية، ص : 45.

[3] صدوق نور الدين،البداية في النص الروائي، ط1، 1994،دار الحوار للنشر ،سوريا،ص:53.

[4] الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع ،ص: 44.

[5] الرواية،ص:44

بشكل غير متناسق، أجهزة كومبيوترية مستعملة قليلة، تكاد حروف وأرقام لوحها تمحى.. مع شاشاتها الباهتة".[1] ويضيف أيضًا أنَّ "سقفه مغطى بالزنك وغير مبلّط وليس مدهونا كذلك...".[2]

فهذا المكان لوحة فنية لتضاريس الفقر والبؤس وانعدام وسائل الترفيهية عند سكان الحي الشعبي بمدينة نيامي بالنيجر.

ـ مقهى الأمازيغي إيدير:

يقع بعين قزام، يصفه "مامادو":"مقهى بسيط؛ لكنه وبكل إنصاف أحسن من مقاهي عاصمتنا ومطاعمها....رَبَضنا بطاولة حديدية مركونة في زاوية من المقهى، كان هناك كاماراديون آخرون في المقهى، لعلهم جاؤوا قبلنا الغبار يلبس رؤوسهم ووجوههم"[3]

فالمقهى يعتبر أحد العلامات المكانية البارزة، فهو مكان يستقطب كل الناس على اختلاف مستوياتهم وانتماءاتهم "فهو فضاء تتجمع فيه فلول الأجانب من كل صوب، باحثة عن الغريب والعجيب الذي يغذي حاجاتها إلى المغامرة ارتياد المجهول "[4]

والمقهى أضحى مكانا للراحة و الاحتماء من لفح الحر"أشار علينا مفوضنا من العام لأمة ليكاماراد ،أن نرجع لمقهى الأمازيغي الذي استعطفنا صباحا، فيه رواق نستظل تحته نأكل شيئا مما يبيعه في مقهاه"[5].

وفي الرواية ورد على أنه مكان للإستراحة من تعب الطريق، يقول مامادو :"هي فرصة للاستراحة بأحد المقاهي القريبة ".[6] .....انزوينا إلى مقهى على الرصيف الآخر من الشارع الخلفي تنبعث منه موسيقى صاخبة، عرفت فيما بعد أنها موسيقى(الراي) ".[7]

---

[1] الصدّيق حاج أحمد،كاماراد رفيق الحيف والضياع ، ص: 44.

[2] الرواية، ص: 65.

[3] الرواية، ص:288.

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ص :92 .

[5] الصدّيق حاج أحمد، كاماراد رفيق الحيف والضياع ،ص: 164.

[6] الرواية،ص:185

[7] الرواية،ص: 185

حشرنا أجسادنا داخل المقهى، تكومنا على كراسيه ،كانت فيه لوحتان معلقتان، واحدة فوق ضاغطة القهوة السريعة تظهر لوحة طارقي على جمل وسط الصحراء ....الثانية في الجهة المقابلة، لشاب أربعيني وسيم، ضحوك كتب تحتها [1] Chebkhaled " .

وبينت لنا الرواية بأن المقهى ليس للتسلية والاستراحة فقط، بل هو أيضا مكان لقاء ومناقشة قضايا مهمة يقول مامادو:

-"(ألو أهلا أليكس)

-(نحن وسط المدينة)

-(أين نلتقي؟)

-.....

-(أوكي باي رفيقي)".[2]

يقول "مامادو" واصفا اللقاء بينه وبين رفيقه "أليكس" في مقهى الهقار بتمنراست " خرج أليكس أمام باب المقهى، لوّح لنا بيده اليمنى، أشرنا له من بعيد بأيدينا كذلك..وصلنا المقهى، سلّم علينا بحرارة، ولجنا المقهى، الحركة صاخبة، شباب من كل الجنسيات، جزائريون من كل النواحي، ليكاماراد من كل الجهات...الدخان كثيف، الموسيقى بلعتها أصوات الجالسين".[3]

لاحظنا خلال كل اللحظات التوصيفية التي مرت معنا بها المقهى في الرواية، هو المكان الذي احتوى الجميع دون شروط ومواعيد.

2/2الأماكن المفتوحة:

ونعني بها الأمكنة المفتوحة على الخارج (أماكن انتقال وحركة) حيث تتجلى فيها بوضوح الإنتقال والحركة، وهي بالطبع كل الأماكن المعادية لأماكن الإقامة والتي تشكل معها انقسامًا جدليًا بين الداخل والخارج.

والمكان المفتوح أو المكان الخارجي هو "الذي يخرج عن نطاق غرفة، ..... وهو مكان رحب وواسع، غالبًا ما نجد الفرد يتعامل مع إيجابيًا"،[4]ومن أهم الأمكنة المنفتحة التي تجلّت خلال العمل الروائي والتي نحن بصدد دراستها :

---

[1]الصدّيق حاج أحمد، كاماراد رفيق الحيف والضياع ،ص :188 .

[2]الرواية ،ص:288

[3]الرواية، ص: 289.

[4]كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة، ص:141.

1المدن:

تعتبر المدينة بمثابة "المكان يجمع شتات الشخصيات التي لا رابط بينهما غيره، فيصبح هو صلة الدم الجغرافية التي تقوم على أساسها شبكة العلاقات"[1]، فهي بحر يحتضن مختلف الأجناس لا تربط بينهم قرابة، وإنما جمعتهم الغاية أو القدر في ذلك المكان، فمثلاً في رواية "كاماراد" تصور لنا المدن التي يمر فيها الأفارقة خلال هجرتهم الغير شرعية، ويسمونها بمدن الأحلام، هي فضاء يتجمع فيه المجتمع الكاماردي من نواحي جنوب إفريقيا ليشكل الحدث، ومن هذه المدن التي وردت في الرواية:

. مدينة عين قزام:

(مارسيليا ليكاماراد)، ومما ورد في حقها من وصف ما يأتي: "....البيوت أكثرها طينية، قليلها إسمنتي، الطريق شبه معبد، وجوه الطوارق باللثام، يرتدون بازانات زرقاء، صفراء، خضراء، نساء بيضاوات جميلات ،يلتحفن قناع (تسغنس)، رفاقنا الأفارقة أوقل عنهم (ليكاماراد) وهذا هو الاسم الشائع لنا ابتداء من هذا المقام، هم الآخرون يتجولون في المدينة بكل طلاقة وحرية....."[2]

. مدينة تمنراست:

"(باريس ليكاماراد)"، وهي كما يصفها "مامادو" "المدينة في بدايتها، تبدو كما لو أنها عشوائية وقصديرية .... الجو مستلطف نوعا ما، بيوت طينية وزنكية متناثرة هنا وهناك، الماعز كالقوافل على الطريق"[3]، ومدينة "طاما" كما ينعتها ليكاماراد خليط من الأجناس البشرية "الطوارق رجال ونساء وأطفال، إخواننا ليكاماراد، نساء وشيوخ من أهل زندر ومعهم أطفال يتسولون في الشوارع بطاساتهم، أناس سود مثلنا من أهل البلدة، قوم آخرون بيض مشربون بسمرة، القمامة....موجودة هي الأخرى "[4].

إن مدينة تمنراست هي تجمّع لمجتمعات إنثية مختلفة،بيض،سود،أفارقة زنوج، الطوارق ،فهي خليط من الأجناس البشرية.

---

[1]حافظ صبري: الحداثة و التجسيد المكاني، مجلة فصول، العدد: يوليو: 1984، ص: 165.

[2] الصدّيق حاج أحمد، كاماراد رفيق الحيف والضياع، ص:155.

[3]الرواية، ص: 179

[3]الرواية ، ص: 179.

[4]الرواية، ص: 179.

. مدينة أدرار:

يسميها ليكامارد ب"(روما ليكامارد)"[1]، وهي تدخل ضمن أحلامهم، يصفها "مامادو" قائلاً: "الحركة هادئة بوسط المدينة، أكثر ما شدّ انتباهنا، تشابه المعمار الأدراري مع ممعمارنا الإفريقي، في مدن (أقادز)و (طاوة) و(تساليت) و(Gاو)"[2]، ويفسر "مامادو" هذا التشابه بقول رفيقه "فيليب" "إن الاستيطان الفرنسي هو الذي أدخل هذا النموذج المعماري إلى هنا من بلداننا، فبنى بالطين..وسمّك الجدران..وسقف بجذوع النخيل .. وصبغ المظهر الخارجي لبنايات المدينة بالأحمر الطيني .. لامتصاص الحرارة القاتلة لهذه المناطق زمن الصيف... بها ساحة "ماسينا" تنفتح فيها أربعة أقواس حمراء"[3] .

إن هذه المدن التي الصحراوية الجزائرية التي وردت في الرواية ، تعتبر مناطق عبور ومحطات انتقال لهؤلاء الأفارقة الحالمين بالفردوس.

2الشوارع والأزقة:

يعد الشارع جزء لا يتجزأ من المدينة، أو أحد علاماتها المكانية البارزة تنفتح فيه الأبواب وتتحرك فيه الشخصيات.

والشوارع أماكن مفتوحة، تستقبل كل فئات المجتمع وتمنحهم كامل حرية التنقل وسعة الإطلاع وهي لاتقوم على تحديدات ولا حدود ثابتة [4]تمثل بالنسبة للشخصيات أماكن مرور وتوقف وانطلاق.

ورد الحديث عن الشوارع في بعض المقاطع السردية في الرواية، يمكن أن نمثل لها بالأزقة والشوارع التي مرَّ عبرها البطل "مامادو"إزاء ممارسته لمهنته البسيطة ،التي ورثها عن أجداده وهي" بيع أعواد Gورو" يقول متحدثا عنها قائلا :" أكملت دوراتي عبر شوارعي المرسومة التي كان والدي بورايما يسلكها ،وجدي غندا "[5]... وصلت الأزقة بالجهة الشرقية للعاصمة، أطوف عتبات أبوابه ،مقتفيا آثار جدي ....ثم يطوف بالحي الغربي يتبع الأزقة التي كان يطوف فيها والده.....ثم يتوقف عند بعض الأماكن التي كان قد ابتدعها شخصيا، وكان قد عقد العزم على أن يورثها لأبنائه في المستقبل "[6]، قبل أن يفكر في الهجرة .

---

[1]الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع ، ص: 309.

[2]الرواية، ص: 31.

[3]الرواية، ص: 310.

[4] ياسين النصير، الرواية والمكان،ص:14، 15 .

[5] الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع ،ص: 58.

[6] ، ص:59، 60 .

ومن الواضح أن الأحياء و الشوارع والأزقة "تعتبر أماكن انتقال ومرور نموذجية، فهي تشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها ورواحها عندما تغادر مكان إقامتها وعملها"[1] .

يقول مامادو واصفاً لطريق حي الشاطو الشعبي بتمنراست :"سلكنا زقاقا متسخا متسخاً، فيه أعقاب السجائر وعلبها المرمية، أبواب الأكواخ حديدية وخشبية مهترئة، تنبعث منها فوغة نتنة، جلست نساء كاماراديات قُبال البعض منها، اجتهدن في بسط شعرهن وترتيبه....أجسادهن شبه عاريات "[2]، تتسم هذه الأزقة بأنها "ضيقة،وملتوية، ومتسخة تعترضك فيها سيقان المومسات"[3].

وجاء هذا الوصف ليكشف عن هامش المهاجرين الأفارقة الضّاج بالمخدّرات، والدعارة، .....إلى غيرها من الأعمال المشبوهة.

3 الأسواق :

السوق مكان تجاري، نجد فيه كل المظاهر التي تعبر عن وجه المدينة، وقد شكلت الأسواق ظاهرة مميّزة في مختلف الحضارات واهتم بها المؤرخون، والرحالة، وحتى الرواة في كتاباتهم.

هو "المكان الذي تلتقي فيه أنواع مختلفة من البشر، ويزخر بأشكال متنوعة من الحركة كما يمثل مناسبة لتقديم شخصيات جديدة".[4]

استثمرت الرواية الخصائص العامة لهذا المكان، حيث تبرز لنا حالة السوق بمدينة نيامي في صورة مزدحمة"الحركة والضجيج يبلغان ذروتهما اللّامتناهية، خلال فترة منتصف نهار نيامي، لاسيما بهذا المكان من السوق الكبيرة.... الدّخان يعلو المكان".[5]

كما تشير الرواية إلى سوق الحيوانات الذي تختلط فيه أصواتها ،يقول **"مامادو"** واصفا السوق بأنها:"ضاجة بأصوات الحيوانات، رغاء الإبل المختلط بنعيق النوق الرخيم بحنين ولدها، هو الآخر مختلط مع ثغاء الماعز ومأمأة الشياه ....إيقاع تلك الأصوات شكلت معزوفات رائعة بأجواء الأسواق".[6]، وكانت الحيوانات متوزعة

---

[1]حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي ،ص:79

[2]الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع ، ص :196

[3]الرواية، ص: 197.

[4]فلة قارة، ليندة لكحل، بناء الشخصية والمكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي،مذكرة لنيل شهادة ماستر في الأداب إشراف: الأستاذ يحي الشيخ الصالح،جامعة منتوري قسنطينة، السنة: ماي 2011،ص:85.

[5]الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع ،ص: 61.

[6]الرواية، ص: 82 .

في جغرافيا هذا السوق في شكل "فضاءات لكل صنف جهته، الشياه لجهة الشرق ،الإبل لجهة اليمين ،الماعز لجهة لشمال البقر للجهة المقابلة للشياه."[1]

وبما أن السوق مكان للتبضع فقد ورد في هذا النص الروائي خروج مامادو للسوق لشراء أغراض تلزمه في رحلته يقول:"وصلت السوق في لجّة تلك الحركة الصاخبة التي تتعالى في كل صباحات العاصمة ولا يحلو أن يتناقص إلا بعد العصر .

قصدت جهة الملابس المستعملة المعروفة بالبالة.....اشتريت هاتفين سروالين مستعملين من الجينز الأزرق البارد .....اشتريت قميصين صيفيين مستعملين كذالك...اشتريت هاتفين نقالين ....."[2].

إن السوق مكان عام يمنح الناس حرية الفعل وإمكانية التنقل وسعة الإطلاع والتبادل، لذا فهو مكان انفتاح ينفتح على العالم الخارجي، يعيش دومًا حركة مستمرة، يؤدي وظيفة مهمة في سبيل الناس إلى قضاء حوائجهم.

4 الأحياء الشعبية:

الأحياء الشعبية هي مجموعة السكنات العشوائية التي تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة الكريمة، تتميز ببساطة ساكنيها وطيبتهم، حيث تجمعهم علاقات وطيدة ومتماسكة كأنهم عائلة واحدة كبيرة، وغالبًا ما تكون أزقته، وطرقاتها ضيقة والبيوت تكاد تكون ملتصقةً ببعضها البعض، ومن الأحياء القصديرية التي وردت في الرواية نذكر:

. حي Gمكلي:

المكان الذي تنطلق منه أحداث الرواية "أفقر الأحياء بمدينة نيامي النيجرية مكان متروك معزول عن العالم"[3]، صورة حية للفاقة والبؤس الشديد بهذا الحي من خلال وصف البطل مامادو"بيوت طينية بائسة، مغطاة بشجر الكرنك، الأوساخ والقمامة في كل مكان دون استثناء..أطفال نصف عراة، نساء ضامرات، شيوخ خماص، أشياء لا تخطر على البال!!"[4].

يصف الروائي حالة الجهل والفراغ والتخلف بلسان"مامادو" حيث يقول: "في حيّنا القصديري (Gمكلي)، الواقع على الضفّة الضّاجة من نهر النيجر،لا توجد لنا نوادٍ أو مقاهٍ شبابية نختلف إليها، لدغدغة أحلامنا ".[5]

---

[1] الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع ، ص: 83 .

[2] الرواية ،ص:95_96.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 81.

[4] الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع ، ص: 23.

[5] الرواية ، ص: 36.

. حي الشاطو:

حي قصديري فوضوي، بناياته طينية هشّة قصيرة.. بُنيتْ بشكل عشوائي، آثار العجلة في إقامتها بادٍ للعيان .. كابلات الكهرباء المجرورة من الأحياء المحاذية"[1].

إن هذه الأحياء الشعبية التي وقف أمامها الكاتب وقفة متأنية يمكن القول عنها،أنها تسلب بعض حقوق هؤلاء الأفارقة وحرياتهم، وكأن مصيرهم فرض عليهم، بالإضافة إلى ضعف الإمكانيات المادية والوسائل الثقافية و الترفيهية.

[1]الرواية، ص: 194.

3المبحث الثالث: جماليات المكان في رواية كامارد رفيق الحيف والضياع:

1/3جماليات الشخصيات:

لا يكتمل الحديث عن المكان الروائي، إلا إذا اقترن بالشخصية التي هي العمود الذي يرتكز عليه العمل الفني فهي تجسّد فكره وتؤثر في سير الأحداث، "لذلك رأى بعض الباحثين أن أفضل تعريف للرواية هو (فن الشخصية)، أي الفن الذي يقدم تجربة إنسانية من خلال تصويره لمجموعة من الشخصيات في واقع محدد زمانيًا ومكانيًا"[1].

فالشخصية"سند لكل التحولات التي تطرأ على مستوى النص"[2]، ويفضي الحديث عن الشخصية الروائية بالضرورة إلى الحديث عن شخصية البطل أو الشخصية الرئيسية "فهي التي تقوم بإنجاز الحكي لقصتها و التعليق من خلال علاقتها بالشخوص، أي تقوم بدور السارد، من جهة أخرى تعد شخصية محورية في الرواية، تروي ماحصل لها في تجربتها"[3]، فهي أساس بناء الرواية.

وفي واقع الأمر تقتضي الشخصية وجود مكان تتحرك فيه، فهي لا وجود لها إلا في المكان وهذا ما يدلّ على "أنّ هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان"[4]، ولأن مجال البحث لا يمكن له استيعاب العلاقات المكانية للشخصيات جميعها وفي دراستنا هذه نركِّز على نماذج رئيسية تجسد علاقة التأثير والتأثر بين المكان والشخصية وتغنينا عن بقية الشخصيات:

1مامادو: مامادو، محامادو، أو محمد[5] ،شخصية فاعلة جوهرية يروي لنا أحداث تخصه وتدور حول هجرته الغير الشرعية نحو الجنة الوهم بالغرب،وانتقاله عبر الأماكن.

كائن بسيط عنصر من العناصر المكونة لحياة الفقر والشقاء ذو"وجه شقي رسمت عليه ثلاث وخزات أفقية على الوجنة اليمنى"[6]، يعيش رفقة أمه وأخته زينابو، اضطر إلى ترك المدرسة رغم تفوقه فيها لتحمل مسؤولية

---

[1]جمال مباركي، الشخصية العربية في رواية المخطوط الشرقي لواسيني الأعرج، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، العدد الرابع، 2012، ص: 92.

[2]نبيلة بونشادة، الشخصية من المستوى المنشود إلى المستوى المحسوس في رواية غدا يوم جديد عبد الحميد بن هدوقة، مجلة قراءات المخبر، جامعة محمد خيضر، المركز الجامعي ميلة، ص: 125.

محبوبة محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة للكتاب، سوريا، دمشق، 2011، ص:20.

[4]حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 30.

[5]الصديق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع،ص:39.

[6] الرواية، ص:40.

الأسرة بعد وفاة أبيه، نشأ في قبر خارج التطور الحضاري بالنيجر نيامي"عاصمتنا_عزاها الله_ لا توجد بها قنوات الصرف الصحي، هل رأيت سيدي عاصمة بلا صرف صحي؟ صدق أو لا تصدق"[1].

وقد أدت به الأوضاع الاجتماعية و الظروف القاسية إلى الهجرة نحو الفردوس الأوروبي هروبًا من الواقع المسدود في بلاده "كنت كثيرًا ما أحدث نفسي قبل النوم وأنا مستلق على حصيري برحبة البيت، أسليها بالقول:(إنّ خيار وقوفك على جبل الأقرع المطل على مدينة سبتة أو جبل (GورGوو) المطل على مدينة مليلية، مما تستطبّ به عينيك بلا واسطة يا مخلوق.."[2].

تميّز بالدّقة والملاحظة فيصف كلما رآه وصفا دقيقا، وقوة استرجاع الذاكرة فمثلاً عند تذكره ليومياته بحي الشاطو يقول:"كنا نحن الرفاق الثلاثة جالسين على الحصير، دخل أولاً ثلاثة شباب من ليكامارد يحمل أحدهم في يده خمس خبزات، الآخر كيسًا بلاستيكيًا أصفر شفّافًا، يظهر فيه، أرز، علبة جبن، قارورة ياغورت، الثالث كان يحمل بيده علبة شاي صغيرة، لم أتبين علامتها التجارية، أخال وزنها(250غ)"[3]، كما تميّز بحبه للرقص وترديده لنغمة فرحه"ي صابو أي صابو"[4].

كان دائم التفكير والحنين إلى أمه وأخته أثناء رحلته إلى الفردوس"أتصوّر المخلوقتين_أمي وأختي_ مستلقيتين في الرحبة بمكانهما المعهود، تلقي كلّ منهما نظرة على مكاني لاسيما ليلا.."[5].

لكن حلم"مامادو"بالوصول إلى جنة المأوى الأوروبية لم يتحقق، وباء بالفشل.

2سلاماتو:

هي أم البطل مامادو الراوي ،يصفها بأن لها قرط حديدي مغرز في فتحة أنفها سيف اليمين طقوس قبيلة "بورورو"يذكر بأنها من خرافات وأساطير الشعوب إفريقيا، ولكن مع الوقت، تخلّى بعض النسوة عن هذه الحلقات فظهرت البشاعة على ملامحهن، وهو ما دفع أباه أن يطلب منها أن تحتفظ بحلقتها في مكانها، وبالتالي تحافظ على أناقتها[6].

---

[1]الصديق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع، ص: 54.

[2]الرواية ، ص: 46.

[3] الرواية ، ص:215، 216.

[4]الرواية،ص: 355.

[5]الرواية، ص: 126.

[6] الرواية،ص:40.

وهي الأم الحنونة الصبورة، تحملت عبئ الحياة القاسية بعد أن مات زوجها وهاجر ابنها نحو أوروبا، فصورها مامادو أنها:"كانت علامة الحرقة ولوعة الفراق، التي تسبق الوداع، بادية على وجه أمي"[1]، وقد حاول التخفيف من حرقتها بقوله: "كما خلق الفراق والوداع، جعل إلى جنبهما أمل اللقاء"[2].

كانت فرحة الأم لا توصف غداة عودة ابنها من هجرته سالما بعدما كانت تردد"سيرجع ابني مامادو سالما ....لأن لي من اسمي سلاماتو نصيب"[3].

3إدريسو:

الرفيق المخلص لمامادو في حي Gمكلي، كما سماه وصفه بصفات مميزة كثيرة منها: الوفاء والإخلاص والقيادة، محرك لرفاقه نحو الهجرة، وكان المرشد والموجه في الرحلة، يقول عنه مامادو: "إدريسو كثَّر الله من أمثاله، رغم حصوله على الجواز المزور، كان قلقا معي لعدم وجود شبه مرفولوجي لي بالجوازات الجاهزة، شاركني هواجسي.... صرح لي هذا الأخير، أنه لن يهاجر، إلا معي....وإن لم يأت جوازي، فسيبقى معي حتى محاولة الهجرة العام القادم ....قلت بعدها في تلافيفي (رفيق كإدريسو لا تستعيظه حتى بالتبر، ورفيق كساكو تبعه بقطعة زطلة)"[4].

4ساكو:

رفيق **"مامادو"** في الثاني رحلته ويصفه الراوي بالبخل واللئم وبأنه صاحب مصلحة وأناني، ويوظف استشهاداته فقط في مواضع حاجته غريب الأطوار، تتوقف رحلته مع مامادو في مدينة تمنراست حيث استقر بمجمع الكامارادي كايطا "رفيق مجلس فضا يصرح جهارا وبلا وجل أنه باق هنا بالضواحي مع كايطا"[5].

يقول عنه مامادو: "أصبحت أحس بنوع من القلق في هذا المقام لا أدري كيف ربى هذا الشعور عندي بهذه الوتيرة المتسارعة؟ ما زاد هذا الاحتقان طريقة 'ساكو' البدائية في نكران ملح السنين وعشر ة أعوام .. يبيعك ببصلة حمراء كبصلة ضفة نهرنا... عندما يجد جداء في الطرف الآخر"[6]

---

[1] الصديق حاج أحمد، كاماراد رفيق الحيف ، ص:101

[2]الرواية، ص:102.

[3] الرواية ، ص:28 .

[4]لرواية ، ص:286.

[5]الرواية، ص: 287.

[6]الرواية، ص: 287.

5أليكس:

القائد المنقد والحكيم المدبر للرحلة، خبير بالمسالك الهجرة ومقارعة السماسرة المهربين، يحصل على جوازات السفر المزورة، ويجد للرفاق الملجأ والملاذ ويوصلهم جميعا إلى نقطة النهاية، يقول فيه **"مامادو"**: "شخص نزيه وضعنا فيه ثقتنا في خلوات الموت فكيف لا نثق به في بر الأمان؟"[1].

إنَّ الكثير من الشخصيات التي وردت في الرواية جاءت مسمياتها بهذه الطريقة التي تشبع حركة الضمة ، كغاريكو وعسمانو وخديجاتو وحليماتو وزينابو...وغيرها، وجل هذه الشخصيات ساهمت في بناء المكان في الرواية من خلال انتقالها مع البطل من مكان لآخر في رحلة محفوفة بالمخاطر.

2/3جماليات الأمكنة:

يعد المكان مكونا من مكونات الرواية، لا استغناء عنه مثله مثل الشخصية والحدث، مع اقتضاء وجود سارد ومن سمات المكان يتعدد بتعدد الأحداث وتطورها"[2]، اعتبر **"مرشد أحمد"** المكان هو "العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض، وهو يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العمق ويدل عليها"[3].

في رواية كامارد تعددت الأمكنة وشكلت همزة وصل بين بداية رحلة البطل ونهايتها، من حيGمكلي بمدينة النيجر وصولا إلى سبتة الإسبانية.

فحي Gمكلي الذي عدَّه الكاتب "أفقر الأحياء بالعاصمة نيامي النيجر"[4] هو مكان بداية تشكل أحداث الرواية فيصور لنا واقع الحياة في هذا الحي الذي يستقطب "بيوت طينية بائسة، مغطاة بأعواد الكرنك، الأوساخ والقمامة في كل مكان"[5] ويصف لنا المطاعم "التي توجد على قارعة الطريق والأرصفة تطبخ للجوعى بالحطب ويجلس زبنائها الكرام على مجسمات الأحجار المكعبة وجزوع اسطوانية، بدل الكرسي"[6]، ويبرز لنا الروائي كيف رفض البطل **"مامادو"** هذه الحياة وقرر الهجرة نحو أوروبا التي سماها بجنة الخلد، فيبحث عن السبيل

---

[1]الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع ،ص:280

[2]وردة سلطاني، التشكيل المكاني في النص الثوري، ص:614.

[3] نصيرة زوزو،، بناء المكان المفتوح في رواية "طوق الياسمين"، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري_جامعة محمد خيضر_بسكرة،الجزائر،قسم الآداب و اللغة العربية كلية الآداب واللغات، العدد الثامن_2012، ص: 22.

[4]الصدّيق حاج أحمد، كامارد رفيق الحيف والضياع ، ص:22.

[5]الرواية،ص:23.

[6]الرواية، ص:36.

في كيفية تدبير المال لهذه الرحلة الطويلة، مما اضطر إلى بيع بقرة العائلة "بكتو" ومصدر رزقها بسوق المواشي بنيامي ليتزود بثمنها في رحلته.

رحلة مامادو مليئة بالحيف والضياع مع سماسرة تهريب البشر في صحراء إفريقيا حتى مدينة الجزائر بمحطة عين قزام أولاً وسماها (بمارسيليا ليكامارد)كما وصفها :"الطقس معتدل، تسللنا عبر الشارع الوحيد للمدينة البيوت أكثرها طينية، وجوه من الطوارق باللثام ..... نساء بيضاوات جميلات يلتحفن قناع تسغنس، رفاقنا الأفارقة ليكامارد"[1]، كما يصور لنا مقهى النادي إيدير" مقهى بسيط، ولكنه وبكل إنصاف أحسن من مقاهي عاصمتنا ومطاعمها"[2].

ويمر عبر مدينة تمنراست التي يقول عنها "إن طاما هي تجمع لمجتمعات إنثية مختلفة افريقية زنجية وطارقية، تفاصيل المكان تشبه Gمكلي ونيامي وكل بلاد الله بإفريقيا"[3]، كما يصور لنا أماكن تجمع ليكامارد وما تتوفر عليه من قيم سلبية من تزوير الأموال والمخدرات وبيوت الدعارة وغيرها من الأعمال المشبوهة، فيوجد بتجمع الليبيراليين" جماعة مختصة بتزوير النقود والعملة المحلية واليورو"[4]، وبمخيم تهGارت الشومارة"بيع جوازات سفر مالية مزورة"[5]، ناهيك عن المخدرات التي كان يبيعها الرفاق بتلك الأحياء وانتشار بيوت الدعارة.

وقد قام "مامادو" بترويج العملة الصعبة المزورة بالمدينة مقابل الحصول على المال من أجل شراء جواز سفر مزوَّر ليصل إلى الفردوس المنشود، ثم انتقل إلى مدينة أدرار (روما ليكامارد)؛ والتي تعد سوق اليد العاملة الكامارادية، وقطن بحي ابني واسكت وعمل في ورشات بناء مقاولين بالمدينة للحصول على المال لاستكمال رحلته وبعدها انتقل إلى شمال الجزائر مغنية (مالطا ليكامارد) بمحافظة تلمسان، متسللا بين حدودها مع الجارة المغربية بمدينة وجدة (قبرص ليكامارد)، وصل إلى (جزيرة لامبيدوزا ليكامارد) بمدينة الفيدق قبالة سبتة الإسبانية، لاجتياز السلك الحديدي إلى جنة النعيم أوروبا، لكنه أخفق في تحقيق حلمه رغم كل هذه المغامرات، إلا أنها باءت بالفشل بعض ضياع تميمته "Gونكي" التي أعطتها له أمه كحجاب لتحميه وتصونه من المخاطر قال: "ضاعت مخلصتي ووصفة أمي من تركة أبي وبذلك ضعت معها أيضا !! فسقطت في يد الحرس المغربي!!"[6].

---

[1]الصديق حاج أحمد،كامارد رفيق الحيف والضياع، ص: 155.

[2]الرواية، ص: 155.

[3]الرواية ، ص:179.

[4]الرواية، ص:230.

[5]الرواية، ص:256.

[6]الرواية ، ص: 354.

إن تعدد الأمكنة ساهمت في إبراز الأحداث وتنوعها، كما عملت على تطويرها داخل النص الروائي من خلال حركة الشخصيات، ومن هنا تبرز لنا أهمية المكان كعنصر لا يمكن الاستغناء عنه في بناء أحداث الرواية.

3/3جماليات اللغة:

تعد اللغة من المكونات الجوهرية للنص الروائي، وعنصرا مهما من عناصرها وتتجلى هذه الأهمية في تشكيل المكان الروائي الذي" لا يوجد إلا من خلال اللغة"[1]،إذ يعتبرها عبد الملك مرتاض "العمود الفقري لبنية الرواية حيث لا يمكن لأي شكل أن يكون إلا بوجود اللغة ونشاطها"[2] لذلك يمكن القول" إنه لانص بدون لغة"[3].

فاللغة هي المادة الخام لجميع الأجناس الأدبية" فهي تعبير عن رؤية الكاتب، ووعاء لأحاسيسه وأفكاره وأخيلته سواء قصد أن يحملها صفتي الجمالية والوظيفة أم لم يقصد فاللغة وسيلة للتعبير، وهي التعبير نفسه، فليس العمل الأدبي بوجه ما إلا مفردات وجمل"[4].

إن تعاملنا مع اللغة لا يهدف إلى البحث عن اللغة في ذاتها، وإنما تركز على ما تؤديه من جمالية في التشكيل المكاني.

وفي رواية كامارد **"رفيق الحيف والضياع"**، نجد الراوي لجأ إلى لغة الوصف عندما يريد تصوير الأمكنة الروائية ولجأ إلى توظيف هذا الوصف للأماكن توظيفا جماليا في خدمة الرواية، حيث اتسمت لغته بالتصوير والوصف الدقيق، وهذا ما يدل على انغماسه في الواقع، وإصراره على تصوير المكان الروائي تصويرا جوهريا، يمكن القول أن استخدم الكاتب لغة الوصف الذي يعد أساسا في بناء المكان الروائي.

الكاتب عرض لنا الأحداث والشخصيات والأماكن في قالب سردي من خلال سرد البطل **"مامادو"** ولقصة هجرته، ومزج بين الأساليب السردية حيث جعل شخصياته لا تتكىء على ضمير المتكلم فقط، وإنما على ضمير الغائب أيضا.

وقد تمكن عبر توظيفه للسرد من خلق حضور زماني ومكاني للقارئ،كما استخدم الألفاظ للدلالة على الوضعية المأساوية للبطل، ومن هذه الألفاظ التي أوردها الكاتب لفظة "في القبر"[1] تعبيرا عن الحياة والحرمان التي عاشها في حيِّه الفقير بGمكلي نيامي النيجر.

---

[1]حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 27.

[2]عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، ص: 114.

[3]مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ص:251.

[4]محبوبة محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص: 135.

جاءت لغة الكاتب قائمة على المعرفة التاريخية والثقافية سلط فيها الضوء على العادات والتقاليد في العديد من الأماكن منها:

"التسغنس قناع يلتحفنه نساء الطوارق"[2].

"خبزة التاقلة كسرة تقليدية تضع من معجون الدقيق تستعملها أهل الصحاري والطوارق"[3]. يذكر البطل الراوي، "بعض من عادات وطقوس قبيلته '' البورورو''، وهو خرم أنوف النساء لكي يتكاثر البقر في الحقول، وهو من خرافات وأساطير الشعوب الإفريقية الزنجية."[4]

بالإضافة إلى أنه استخدم بعض الكلمات المعربة كأسماء الماركات العالمية وأنواع السيارات وتسمية الأماكن:كفندق Gاواي، سيارة لاندVر، بونْجورْ مون باطرون....إلخ.

لغة الكاتب لغة سهلة وبسيطة، حيث استخدم اللغة الفصحى تتخلها بعض الدارجة أو العامية كقول المقاول بحي Gراوي بمدينة أدرار لمجموعة من الأفارقة يشتغلون عنده:"أنتو تحلَّبتو يا لخاوة خلينا نشوفوا هاد الجداد"[5]، واستعمل البعض من الفرنسية:.(...Bonjour Mon Patron) [6]

والانجليزية:[7] Gave me your passport please_

أما الحوار فيعتبر من بين الوسائل التي يتبعها الراوي للتعبير عن الحدث إذ يعدّ من أهم عناصر العمل الفني، في الرواية نجد تمحور البطل مامادو مع بعض الشخصيات، كالحوار الذي دار بينه وبين رجل عجوز عند ترويجه للعملة المزورة بمدينة تمنراست :

"_(هل تريد عملة اليورو مون باطرون؟)

_....

_الجواب على الفور.

_(أجل ....)

---

[1]حاج أحمد الصديق،كامارد رفيق الحيف والضياع ، ص: 33.

[2]الرواية/ ص: 155.

[3]الرواية، ص: 137.

[4]ينظر:الرواية ،ص: 40.

[5] الرواية ، ص :318.

[6] الرواية، ص:318 .

[7]. الرواية، ص: 298

ـ(أنت كامارادي أليس كذلك؟)

ـ(وي مون باطرون)

ـ(من أي بلد أنت)

ـ (من النيجر مون باطرون)"[1].

الكاتب قد أفلح في بناء نسيج سردي، تغلب عليه طابع السرد التقليدي مع اعتماده اللغة الثقافية المعرفية وهذا ما أدى إلى إضفاء جمالية على المكان الروائي.

ومما سبق نستنتج بأن للغة دور مهم في إبراز المكان، وأن لغة الكاتب في الرواية خدمت المكان بشكل واضح، من خلال اعتماده على أسلوب السرد ووصف الأمكنة بتفاصيلها، واستخدامه اللغة السهلة الواضحة القريبة التناول .

[1]حاج أحمد الصديق،كاماراد رفيق الحيف والضياع، ص:242.

خاتمة

إن خاتمة هذا البحث هي آخر محطة نقف عندها، حاملة معها الأسطر الأخيرة التي أردنا أن تكون حوصلة شاملة مختصرة لأهم النقاط التي سمحت لنا هذه الدراسة التوصل إليها :

- إن المكان ليس مجرد ديكورٍ هامشيٍ في الرواية، بل عنصراً هاما من عناصرها، إذ يعتبر العمود الفقري الذي يربط بين أجزائها .
- اختلفت آراء النقاد من الغرب والعرب وتعددت حول مصطلح المكان ،وهذا الاختلاف يعود إلى عدم استقرار المفهوم بسبب الترجمة، وهو ما يجب تلافيه عبر المجامع اللغوية والتنسيق فيما بينها.
- إن رواية "كاماراد" إضافة فنية وجمالية للسرد الروائي الجزائري والعربي، تميزت بتوظيف سرد مزج بين الواقع المتخيل ،وبين الإنسان الإفريقي و ثقافته وأحلامه وبين مغامرته في سبيل البحث عن حياة معاصرة أفضل .
- للمكان دور رئيس في رواية" كاماراد" ،فقد اعتنى الروائي بتقديمه بطريقة رائعة في انسجام بين المكان وما يدور في ذهنه من أفكار يود إيصالها إلى المتلقي .
- إن رواية "كاماراد" رواية مكان بامتياز، ليس لأن الراوي وظف جزءاً كبيراً منه في سردياته لرصد التفاصيل المكانية، وإنما لكونه عمد كذلك للتنويع في عرض الأمكنة؛ أي أنه لم ينغلق على رؤية مكانية محددة، وهذا ما نلمسه عبر التنقل الواضح لشخصياته من مكان لآخر.
- استخدم الروائي الأماكن الواقعية في روايته، ولم يرد أي مكان خيالي في الرواية، وكل الأماكن التي شهدت أحداث الرواية موجودة في الواقع تمثلت في النيجر نيامي، وتمنراست وعين قزام وأدرار بالجزائر ...وغيرها من الأماكن .
- براعة الروائي في خلق المكان ،حينما جسد لنا المكانية بأصغر دقائقها وتفاصيلها، حتى يصل بنا إلى نظرة كلية عامة تعينا على فهم المكان في الرواية.
- يظهر لنا المكان بأنماط مختلفة في الرواية منها الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة، وتحتل الأحداث موقعها غالبا في الأماكن المفتوحة كالشوارع والمدن مثلا فهي جسور تعبرها الشخصيات.
- ساهمت الشخصيات في تكوين المكان وبناءه في الرواية، عن طريق حركتها التي تبث في المكان حيوية.
- تعددت الأمكنة في الرواية، نظرا لتعدد الأحداث، فيظهر لنا دور المكان في تشكيل أحداث الرواية، فهو المسرح الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات .

- برزت اللغة عند الروائي كوعاء يحمل فيه أحاسيسه وأفكاره، واستخدمها بطريقة سردية تخدم المكان، في أسلوب سهل وبسيط مع اعتماد اللغة الثقافية المعرفية لوصف بعض العادات والتقاليد لبعض الأماكن وهذا ماساهم في إضفاء بعد جديد للمكان .

وختاما بعد تعقبنا للمكان في رواية "كامارد" نجد إن الروائي نجح إلى حد بعيد في تصوير جماليات المكان في الرواية، ويتجلى ذلك من خلال وصفه الدقيق للأماكن الواردة في الرواية، وإضفاء جو من الحيوية والحياة في تفاصيلها، وبالتاي إضفاء جو من الألفة بين المتلقي ومختلف الشخصيات والأمكنة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية حفص.

• **المصادر والمراجع:**

2- إبراهيم بن أحمد الزيات، حامد عبد القادر بن محمد النجار ،معجم الوسيط ،دار الدعوة ،ج 1 .

3- ابراهيم خليل: بنية النص الروائي "دراسة" ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت لبنان،ط 1 ،1431 ،2010.

4- أسماء شاهين جماليات المكان في روايات جبرا خليل جبران: دار القارئ للنشر والتوزيع، الأردن،ط،1، 2001.

5- اسماعيل بن حماد الجوهري :الصحاح تاج اللغة العربية والصحاح العربية ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ،دار العلم للملايين ،بيروت لبنان ،ج1 ، المجلد 6، 1979،1399.

6- أميرة حلمي مطر:فلسفة الجمال أعلامها ومبادئها، دار فناء للطباعة و والنشر ،1998.

7- أوريدة عبود :المكان في القصة القصيرة الجزائرية "دراسة بنوية لقصة نفوس ثائرة "دار الأمل للطباعة و النشر ،د ط،2009.

8- باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، دار الكتاب العالمي، عمان الأردن، ط1 ،1429،2008.

9- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979 .

10- حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي "الفضاء، الزمن ، الشخصية"المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط1 ، 1990،.

11- حسين لعبيدي: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، مصر، د.ط،1997.

12- حمادة تركي زعيتر: جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، د ط،، 1434،2013 .

13- حميد لحميداني :بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط1 ، 1991.

14- سامي جريدي : الرواية النسائية السعودية "خطاب المرأة وتشكيل السرد"خطاب المرأة وتشكيل السرد"،دار الانشاد العربي ،بيروت لبنان ،ط 2، 2012.

15- سعيد بن كراد مدخل إلى السميائيات السردية : المركز الثقافي العربي :الدار البيضاء ،دط،دت.

16- سيزا قاسم :بناء الرواية"دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ "،مهرجان القراءة للجميع 2004،مكتبة الأسرة ،القاهرة،يونيو 1978 .

17- الصالح شامي: الظاهرة الجمالية في الاسلام ،المكتب الاسلامي، بيروت ،ط 1 ، 1407.

18- صدوق نور الدين: البداية والمكان في النص الروائي ،دار الحوار للنشر ،سورية ، ط1 ، 1994 .

19- الصديق حاج أحمد:كامارد"رفيق الحيف والضياع"، دار فضاءات للنشر والتوزيع ،الأردن، ط1، 2015.

20- أبو عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي: تيسير الكريم في تفسير كتاب المنان، تحقيق: عبد الرحمان معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1: 1420هـ، 2000م.

21- عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري :كتاب العين، تحقيق مهدي مخزومي، إبراهيم السمرائي دار مكتبة الهلال .

22- عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1، 1984.

23- عبد القادر بن سالم: بنية الحكاية في النص الروائي المغاربي الجديد، دار الأمال ،ط1،2013،1434.

24- عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي,.

25- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد،عالم المعرفة الكويت ،1998

26- عز الدين اسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي ،(دط)،1992،1412.

27- غاستون باشلار :جماليات المكان، ترجمة:غالب هلسا، الموسوعة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1987.

28- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله:أساس البلاغة ،تحقيق:محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 ،1415 ،1898 .

29- لوري لوتمان وسيزا قاسم وآخرون :جماليات المكان الفني ،دار قرطبة، الدار البيضاء،ط2 ،1988.

30- محبوبة محمدي محمد ابدي :جماليات المكان في قصص سعيد حورانيه ،منشورات الهيئة العامة للكتاب، سوريا ،دمشق ،د ط،2011.

31- محمد اليعقوبي: الوجيز في الفلسفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 3،دت.

32- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة :زهرة التفاسير،دار الفكر العربي ،ج9.

33- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي :لسان العرب :دار صادر ،بيروت، ط3 ، 1414.

34- محمد بوعزة :تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات دار الاختلاف الجزائر ،ط1 ،2010.

35- مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، حكاية بحار الدقل المرفأ البعيد، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق 2011 ،ص 28 .

36- ياسين النصير: الرواية والمكان ،دار الحرية للطباعة ،بغداد،د ط،1986.

المجلات :

37- كلثوم مدقن :دلالة المكان في رواية موسم الهجرة للطيب صالح، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، عدد4، ماي 2005 .

38- جمال مباركي: الشخصية العربية في رواية المخطوط الشرقي لواسيني الأعرج، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، العدد4، 2012.

39- نبيلة بونشادة: الشخصية من المستوى المنشود إلى المستوى المحسوس في رواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة ،مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، المركز الجامعي ميلة .

40- نصيرة زوزو: بناء المكان المفتوح في رواية طوق الياسمين ،مجلة المخبر ،جامعة محمد خيضر الجزائر ، بسكرة الجزائر، العدد8 ، 2012 ،

41- حافظ صبري: الحداثة والتجسيد المكاني مجلة فصول، العدد يوليو 2012.

•المذكرات:

42- فلة قارة، ليندة لكحل، بناء الشخصية والمكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي،اشراف: يحي الشيخ صالح، مذكرة لنيل شهادة ماستر، تخصص أدب عربي حديث، جامعة منتوري قسنطينة، ماي2011.

43- محمد الصالح خرفي: جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، إشراف :يحي الشيخ صالح، أطروحة لنيل درجة دكتوراه في العلوم، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية ، 2005، 2006.

.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء.....

شكر وعرفان.....

مقدمة.....أ - ب

الفصل الأول: دراسة حول المفهوم..... 3-14

1المبحث الأول: مفهوم الجمالية 4-8

1/ 1الجمال لغة 4-6

2/1الجمال اصطلاحا 6-8

2المبحث الثاني: مفهوم المكان..... 8-11

1/2المكان لغة 8-9

2/2المكان اصطلاحا..... 9-11

3المبحث الثالث: المكان في الدراسات النقدية..... 12-15

1/3عند الغرب 12-14

2/3عند العرب 14-15

الفصل الثاني: تجليات المكان وجمالياته في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع..... 16-32

1المبحث الأول: حول الروائي والرواية..... 17-27

1/1حول الروائي..... 17-18

2/1حول الرواية... 19-21

2المبحث الثاني: أنماط المكان في رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع 22-32

1/2الأماكن المغلقة.....22-27

2/2الأماكن المفتوحة.....27-32

3المبحث الثالث: جماليات المكان الرواية.....33-39

1/3جماليات الشخصيات.....33-36

2/3جماليات الأمكنة.....36-37

3/3جماليات اللغة.....38-40

خاتمة.....41-43

قائمة المصادر والمراجع.....44-48

فهرس الموضوعات.....49-51